كتاب الهلال

سلسلة ثقافية شهرية

تجارة الرق والرقيق

● جون هنريك كلارك ● فينسنت هاردنج

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير . د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

KITAB AL-HILAL

العدد ٣٦٢ ـ ربيع الاول ١٤٠١ ـ فبراير ١٩٨١

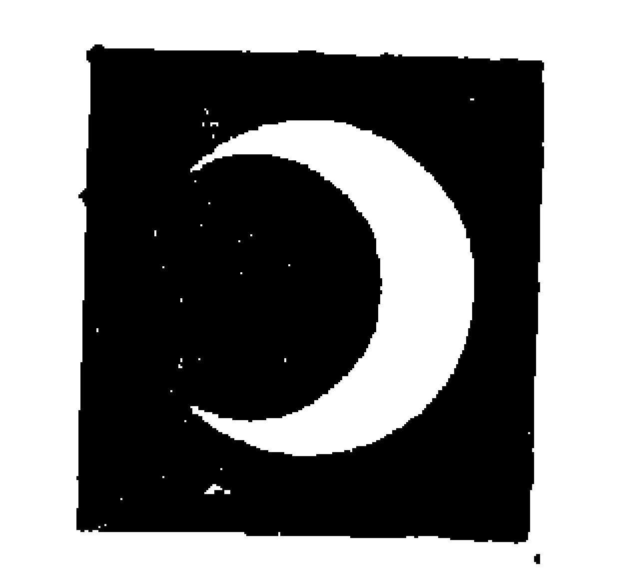
No. 362 February 1981

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ـ ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى • وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه بمصرى بالبريد الجوى • وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى •

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج• م• ع• بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب •

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

تجارة الرق والرقيق

●

تأليف
جون هنريك كلارك وفينسنت هاردنج

●

ترجمة
مصطفى الشهابي

●

دار الهلال

مقدمة المترجم

أستعبد الانسان القوى من قديم الزمان أخاه الانسان الضعيف واتخذه رقيقا يخدمه ويسخره ويملكه ويبيعه ويشتريه وعندما انتشرت الحروب عم الاسترقاق جميع انحاء العالم وصار المنتصرون يبقون على حياة الأسرى لاستخدامهم ، وبذلك اصبح الرق نظاما مسلما به في العالم ، بل كان بعض الفلاسفة يقرر أن الناس صنفان صنف خلق ليكون سيدا ، وصنف خلق ليكون عبداً ، وانهم لم يخلقوا من طينة واحدة : فالسادة والأمراء خلقوا من طينة قوامها تبر الذهب ، والعبيد والأجراء خلقوا من طينة أخرى لا قيمة لها .

وكانت المجتمعات الانسانية قبل الاسلام تفرق فى الحقوق بين السادة والعبيد فلم يكن من حق الأرقاء أن يتولوا الوظائف العامة وكانت أفظع العقوبات تحل بهم اذا ارتكبوا أقل الأخطاء فى حق أسيادهم ، واذا اعتدى سيد على عبد لم يعاقب على اعتدائه ، واذا اعتدى عبد على سيد حقت عليه العقوبة أضعافا مضاعفة ، ومنها فى الهند مثلا عقاب العبيد بانتزاع الألسن وصب الزيت المغلى فى الأفواه أو دس الأسياخ الحديدية المحماه فيها . اما فى مصر والصين وبلاد الفرس فكانت الشرائع تعطى الأرقاء بعض الحمايه من تعسف أسيادهم .

وفى بلاد الاغريق كان يساء الى الأرقاء أشد الاساءة ، وخاصة فى اسبرطة ، التى قال عنها (بلو تارك) « ان الحر فيها كان أكثر الناس حرية ، فى حين كان الرقيق فيها أشد الناس استرقاقا » . لكن هذه المعاملة لم تكن أسوأ من معاملة الرومان لأرقائهم .

الرق فى العصور الوسطى :

وفى العصور الوسطى ، أى بعد ظهور المسيحية ، كان الأرقاء يعانون تلك المعاملة القاسية ، وكان سبب كثرة الأرقاء عند الجرمان مقامرتهم بنسائهم وأولادهم ، وكان القـــانون فى فرنسا يحرم التزاوج بين الاحرار والأرقاء ، ويوقع الأحرار فى العبودية ، اذا ارتبطوا بمثل هذا الزواج ..

وفى أسبانيا كانوا يحرقون المرأة الحرة ومن تقترن به من الأرقاء ، وهما على قيد الحياة ، كما كان يحكم على مثل هذه المرأة فى ايطاليا بالاعدام .

وفى انجلترا كان الأرقاء نوعين ، أحدهمـــــا شبيه بالمنقولات ، وهؤلاء يجوز بيعهم ، والثانى شبيه بالعقار ، وهم المكلفون بخدمة الأرض ، وهؤلاء لا يباعون الا معها .

موقف المسيحية من الرق :

أمر الانجيل الناس أن يحبوا بعضهم بعضا ، ولكن لم يرد به ــ كما لم يرد فى غيره من الكتب السماوية نص صريح يحرم الاسترقاق ، كمـــا لم يقل بتحريمه

الحواريون ، أى أى من الطوائف المسيحية المختلفة ، فيما بعد .

وقد أوصى بولس الأرقاء فى رسالته الى أهل افسس بآسيا الصغرى ، أن يطيعوا أسيادهم كما يطيعوا السيد المسيح . وأمرهم فى رسالته الى أحد تلاميذه أن يعتبروا أسيادهم أهلا لكل تشريف وتبجيل ، ولكنه من وجهة أخرى أوصى الأسياد بالانصاف فى معاملة أرقائهم ، وفى رسالة أخرى أوصى بالحرص على رضاء أسيادهم .

وأوصى بطرس الأرقاء فى رسالته الأولى بأن يخضعوا لأسيادهم وان يخشوهم .

وسار من جاء من آباء الكنيسة على أثر الحواريين ، على سننهم ، فأباحوا الاسترقاق وأقروه ومنهم البابا القديس جريجوريوس الأكبر .

من ذلك يتضح أن الديانة المسيحية لم تحرم الاسترقاق نصا ، ولم تلغه عملا .

الاسلام والرق :

فلما جاء الاسلام لم يرض عن هذا الوضع المهين لكرامة بنى آدم ، والذى كان ضاربا أطنابه فى أرجاء العالم ومنها الجزيرة العربية ، وكان منطقيا مع مبادئه السامية فى تحقيق المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية للناس جميعا دون تمييز ولا تفرقة . فالاسلام لم يرد للناس الا تخليص انفسهم من الرذائل وتحرير الأرقاء منهم من ذل العبودية .

ولما كان الرق سائدا فى الجزيرة العربية كما قدمنا ،

فان الاسلام يامر بتحريمه مرة واحدة ، ولكنه لم يقره ايضا بل عمل على حصره فى أضيق الحدود ، والقضاء على أسبابه .

وقد حصر الاسلام مصدر الاسترقاق فى الحرب فقط ، بشرط أن تكون حربا قانونية منظمة ، يسبقها الانذار والاشهار ، وأن تكون قتالا مع القوم الكافرين . فى حين كانت مصادر الاسترقاق عند سائر الأمم كثيرة ومتنوعة .

الرقيق فى ظل الاسلام :

أعلن الاسلام فى صراحة ووضوح « أنه لا فضل لعربى على عجمى أو لأبيض على أسود الا بالتقوى أو بعمل صالح » ، اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل ، وليلبسه مما يلبس » ، « لا يقل أحدكم عبدى ولا أمتى ولكن ليقل : فتاى وفتاتى وغلامى » .

كما أعلن الاسلام فى صراحة ووضوح أنه يحب الحرية ويمجدها ويحرص على تحقيقها ، وأنه يعتبر تحرير الرقاب من أعظم القربات التى يتقرب الناس بها الى ربهم ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم بعد أن بين نعمة الله على الانسان فى خلقه وتكوين أعضائه ، وتكريمه بالعقل ، وهدايته الى النجدين — وهما معرفة الخير والشر ، يقول القرآن الكريم بعد الامتنان على الانسان بهذا كله : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة » فهو يعد العقبة الكبرى

التى يجب على الانسان ان يعمل لاجتيازها ، هى احترام الانسانية في جميع افرادها ، بتحريرهم من العبودية يملك الرقبة ، ومن العبودية للفقر أو المسكنة أو اليتم ، التى من شأنها أن تجعل الانسان ذليلا مستضعفا قابلا لما يفرضه عليه غيره .

وبهذا أعلن كرامة الانسان وحقه فى الحرية ، ثم وضع الخطة المحكمة لتصفية الرق على سبيل التدرج تصفية نهائية بغير أن يفاجيء المجتمعات بالغائه دفعة واحدة ، حتى لا تهتز بذلك اهتزازا عنيفا يصيب المتحررين كما يصيب غيرهم .

الاسلام وتصفية الرق :

وقد عمل الاسلام على تضييق المسالك التى تؤدى الى الرق وتوسيع التى تؤدى الى الحرية .

فمن المنافذ الكثيرة أنه جعل العتق كفارة لبعض ما يرتكب من الأخطاء والتقصير ، « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » . ومن فطر عامدا فى رمضان فعليه أن يكفر عن ذلك بعتق رقبة أو صوم ستين يوما متتابعة . ومن حنث فى يمينه فمما يكفر به عن حنثه عتق رقبة . واذا ظاهر الزوج من زوجته ، أى قال لها كما كان يقول العرب قديما : أنت على كظهر أمى ، أى لا تحلين لى ، ثم أراد أن يعود اليها ، فعليه أن يحرر رقبة من العبودية تحقيقا لقوله تعالى : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا » أى يراجعون انفسهم فى شأنه ، ويريدون اصلاح خطئهم فيه — فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » أى من قبل أن

يمس الرجل المظاهر زوجته أو تمسه هذه الزوجة ، وتلك رغبة بادية من المشرع فى العتق والتحرير ، ووضع الزوجين فى موضع يحملهمـــا على ذلك حملا ، تلبية لرغبتهما الطبيعية فى المراجعة واعادة الحياة الزوجية .

ومن مثل بعبده أو ضربه فكفارته أن يعتقه ، عملا بقول الرســـول : « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه » .

وروى الامام على عن الرسول قوله : « اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم » . كما روت عنه أم سلمة : « اتقوا الله فى الصلاة وفيما ملكت ايمانكم » أى مراقبة الله وخشيته فى معاملة عبده بمنزلة مراقبته وخشيته فى الصلاة ، التى هى عماد الدين ومن أهم أركان الاسلام .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم : « الصلاة وما ملكت ايمانكم » ويقال ان هذه الجملة كانت آخر ما نطق به الرسول الكريم ، عند وفاته .

وروى ابن عمر عنه عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة » ، وفى الأثر الكريم « لقــد أوصــانى حبيبى جبرائيل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

وقد فتح الاسلام أبوابا أخرى للعتق ، منها أنه اذا صــار الرجل عبــدا لآخر تجمعه واياه رابطة القرابة والنسب ، سواء أكان من الأصول أو الفروع لأية درجة كانت ، فانه يعتق حتما . واذا هرب العبد الأجنبى من بلاده وجاء الى دار الاسلام وأسلم نال حريته . وقــد التجأ كثير من العبيد فى واقعتى الطائف والحديبية الى

معسكر الرسول الكريم فأعتقهم ، ورفض اعادتهم الى اسيادهم .

ومن منافذ التحرر أيضا تخصيص جزء من مال الزكاة لعتق العبيد والاماء ، قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » فقوله تعالى « وفى الرقاب » معناه : وفى اطلاق الرقاب من قيود الرق ، لأنه بمثابة الأغلال التى توضع فى الرقاب ، لأن الغل لا يوضع الا فى عنق البهيمة .

ومن المنافذ التى هيأها الاسلام لتصفية الرق وتحرير العبيد والاماء ما يقرره من أن السيد اذا رزق من أمته المملوكة له ، بولد — ذكر أو أنثى — فان وضعها يتغير ووضعها الاجتماعى ينتقل الى منزلة غير منزلة العبودية الصرف ، فتصبح « أم ولد » وهذا هو الوصف الشرعى لها بعد ولادتها من سيدها وهو وصف فيه تكريم ، لأنها أصبحت تشترك مع سيدها فى ولد يناديها بوصف « الأمومة » ويناديه بوصف « الأبوة » ويضفى عليه كل منهما قدرا مشتركا من الحنان والمحبة .

ومن مقتضيات الوضع الجديد ، انه لا يجوز للسيد فى حياته أن يبيعها أو يهبها أو يتصرف اى تصرف يعوق تحررها . كما أنها تصبح مستحقة للحرية بعد موت سيدها ، فتخرج من تركته مهما بلغت قيمتها وتقدم حريتها على كل الحقوق المترتبة على التركة من ديون أو وصايا أو انصبة للوارثين .

واذن فعلاقتها به أشبه بعلاقة الزوجة بزوجها ، ولذلك

فان الولد الذى جاء ثمرة لهذا الاتصال من السيد بها يولد حرا ، فلا يتبع أمه كما هى قاعدة الرقيق ، ويكون له من الحقوق على أبيه فى حياته ، وبعد مماته ، مثل ما لسائر الأولاد الذين كانوا ثمرة زواج من نساء حرائر ، وهذه القاعدة تسرى على الأمة غير المسلمة ايضا .

وقد تحرر بسبب هذا النظام كثير من الاماء ، وكان لهن أولاد يعيشون احرارا مثل آبائهم ، وقد عرف التاريخ منهم من وصل الى مرتبة الخلافة — كالمأمون العباسي بن هرون الرشيد ، وغيره كثيرون .

وقد اتيح لكثير من الأرقاء ، فى ظل الاسلام ، ان يدركوا أسمى المناصب ، ومن هؤلاء كافور الأخشيدى العبد الخصي الذي تولى حكم مصر ، كما تولاه بعده عشرات من المماليك .

وفي التاريخ الحديث لدينا « خليل اغا » الذى كان من أصحاب النفوذ الواسع فى عصر الخديو اسماعيل .

هل اقر الاسلام شراء الجوارى والعبيد ؟

ان شراء الجوارى والعبيد الذى كان يجرى حتى أوائل القرن الحالى ، لا تنطبق عليه القاعدة التى أباحها الاسلام ، فهؤلاء الذين كانوا يباعون من الجوارى والعبيد ليسوا أسرى حرب دينية عدوانية ، لم يفرض استرقاقهم ، وليس هناك وجه ما يخرجهم عن كونهم احرارا ، فبيعهم وشراؤهم باطل والعقود التى كان

يعقدها المتعاقدون لا يترتب عليها آثارها ، اذ يشترط في البيع أن يكون المبيع صالحا للتملك والحر لا يتملك بحال من الأحوال ، بل ان تملكه واستعباده جريمة من الجرائم التى لعن الاسلام فاعلها ، وهدد مرتكبها بالطرد من رحمة الله .

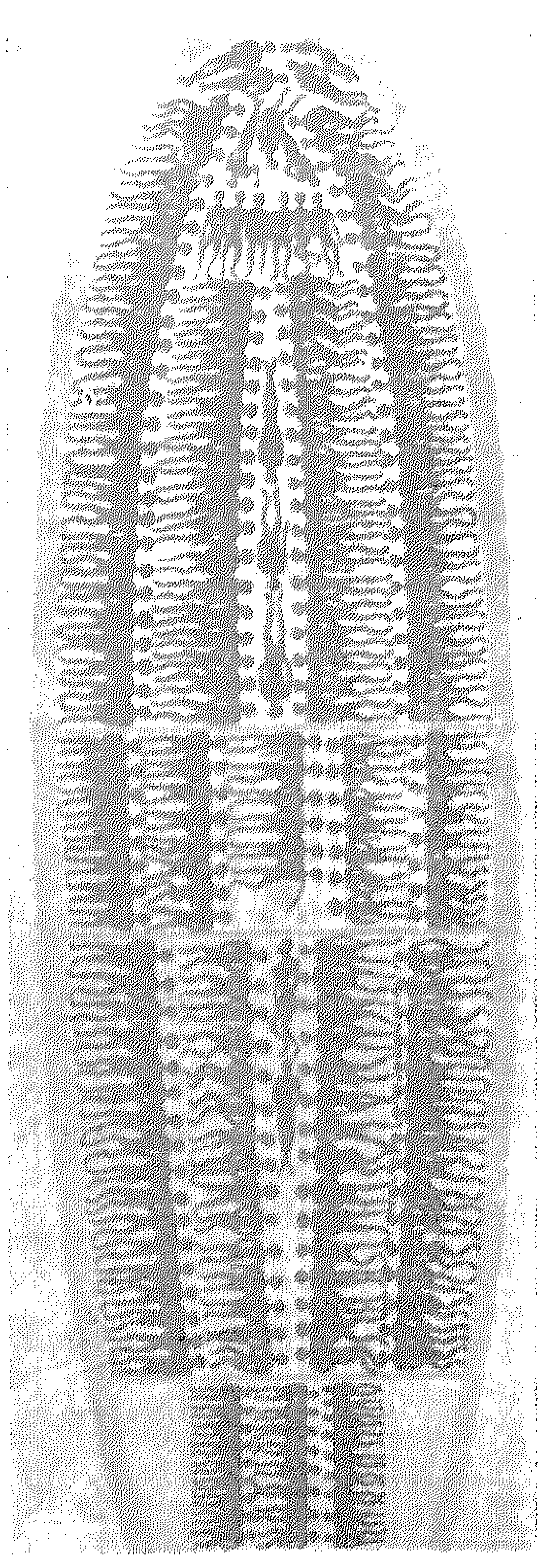
الرق فى العصور الحديثة

البرتغاليون أول المتجرين بالرقيق :

كان البرتغاليون أول من اتصل بالقـــارة الأفريقية وسكانها ، وكانت الجهات التى نزلوا بها مجرد نقط مبعثرة على الساحل ، لا تتعمق فى الداخل ، ولم تكن أقطارا أو مستعمرات بالمعنى المعروف .

ولم تلبث تلك النقط أن حصنت واقيمت بها القلاع والاستحكامات ، ينزل بها ــ ويحتمى بها عند الحاجه ــ عدد من الجنود والملاحين والتجار . ومن تلك النقط كان يجرى الاتصال بالأهالى المقيمين الى جوارها ويتم تبادل الســـلع بين الفريقين . وكانت أهم الســـلع الافريقية : الذهب والعاج وأما ما كان يأخذه الافريقيون مقابل ذلك فسلع أهمهـــا الخمور والأسلحة النارية والبارود ، ولم يكن العبيد من السلع الداخلة فى التبادل أول الأمر ولكنها لم تلبث ان أصبحت فى النصف الأول من القـــرن السادس عشر بصفة عامة أهم السلع جميعا .

عنـــدئذ بدات صفحة من افظع وأشنع الصفحات فى تاريخ العالم كله اذ تعرضت افريقية لطوفان من الشقاء



لم يعرف له نظير فى العصور السابقة .

وكان البرتغاليون أول المشتغلين بتجـــارة الرقيق ، وكان اتجاههم فى البداية الى الأســـواق الأوربية فى أسبانيا والبرتغال بصفة خاصة .

ولكن الأسبان لم يلبثوا أن اســـتخدموا الرقيق فى المزارع والمناجم بجزر الهند الغربية ، وتطلب الأمر عددا كبيرا من الأرقاء ، ولفت ذلك أنظار بعض الدول الأوربية فأخذت تتسابق فى هذا الميدان ، ميدان تجارة الرقيق ، فدخلته هولندا وفرنسا والدانيمارك وبريطانيا .

الانجليز والرقيق :

ولم تلبث بريطانيا أن احتلت المكان الأول فى تجارة الرقيق ، وبزت سائر الدول فى تلك التجارة ، وممن اشتهر فيهـا « سير جون هوكنس » (١٥٣٢ ــ ١٥٩٥) وقد شجعته الملكة اليزابيث الأولى وكافأته على نشاطه بمنحه درعا نقشت عليه صورة زنجي مصفد بالأغلال ، وصار هذا شـعارا له ولأسرته . وكان هـذا الرجل يطـوف بسفينته ويختطف العبيد من سواحل افريقيا ثم يبيعهم لأصحاب المزارع فى المستعمرات الاسبانية التى كانت أهم الأسواق لتصريف هذه السلعة البشرية .

الرق فى الولايات المتحدة :

وجد المهـــاجرون الأوربيون أمامهم آلاف الأميال المربعة من الأرض الصالحة للزراعة ولكنهم لا يستطيعون استغلالها لقلة الأيدى العاملة .

لذلك ما كادت أول سفينة ، وكانت هولندية ، ترسو

على سواحل امريكا الشمالية (الولايات المتحدة) عام ١٦١٩ ، وحمولتها شحنة من الرقيق الأسود القادم من افريقية ، حتى باعت كامل شحنتها لأصحاب مزارع الدخان فى ولاية فرجينيا ، وكان ذلك بمثابة افتتاح لسوق جديدة تظلها الراية البريطانية . ولم تلبث أمريكا الشمالية أن أصبحت أعظم الاسواق استيعابا للرقيق .

وكون الانجليز والفرنسيون والبرتغاليون والهولنديون والدانيماركيون شركات رأسمالية تؤلف بموافقة الحكومة (والبرلمان) ويصدر بانشائها قانون يخول لها صراحة الحصول على الرقيق من سواحل أفريقيا الغربية وتبيعه فى الأسواق وكان نصيب الانجليز فى هذه التجارة أكثر من نصفها .

وأصبحت شحنات الرقيق الأسود تتوافد على أمريكا ، ولا يقل عدد الافريقيين ، رجالا ونساء وأطفالا، الذين تصيدهم الأوربيون ونقلوهم الى أمريكا عن عشرة ملايين وقد بيعوا فى أمريكا الشمالية وجزر الهند الغربية وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ، وذلك فى المدة من منتصف القرن السادس عشر ومنتصف القرن التاسع عشر . ولا يفوتنا ان ننوه بهلاك عدد آخر لا يقل عن العدد السابق ذكره أثناء اقتناص السود فى افريقية واثناء نقلهم فى السفن .

طريقة الاقتناص :

كانت طريقة اقتناص الرقيق تتسم بالوحشية والتناهى فى القسوة وكانت الوسيلة المتبعة هى حرق القرى وقت السحر والسود نيام ، ثم يخطفون وهم

يحاولون النجاة من النيران ، وبعد أن يجمعوا يساقون الى السواحل حيث توجد مستودعات خاصة يحبسون فيها حتى تأتى السفن لنقلهم وفى هذه المستودعات كانوا لا يعطون من الزاد الا بمقدار ما يمسك رمقهم ، ثم يدفع كل رجل او امراة أو طفل ويوسم باسم التاجر الذي اشتراه وكان هذا الوسم شبيها بوسم الماشية بقطعة من الحديد الملتهب . ويظل هؤلاء المساكين فى محبسهم حتى تحملهم السفن . ورغبة فى تقليل نفقات النقل كانوا يرصون رصا ، كما يرص السردين فى العلب ، الواحد لصق الآخر . ونتيجة لقلة العناية الصحية وقلة الغذاء كان يموت من شحنة السفينة نحو ثلاثين فى المائة من السود .

وأخذت شحنات الرقيق الأسود تتوالى على آمريكا الشمالية عاما بعد عام ، يشتريهم السادة البيض فى مزادات علنية وينقلونهم الى المزارع بأسماء جديدة ، هى أسماء سادتهم البيض ، للعمل تحت وطأة الشمس القاسية فى مزارع القطن والدخان فى ولايات الجنوب التى أطلق عليها اسم « الحزام الأسود » وهى ولايات الاباما وتنيسى ولويزيانا وجورجيا .

وأقبل أصحاب المزارع على شرائهم واستخدامهم فى الزراعة وكانت ميناء تشارلستون (الواقعة على ساحل ولاية كارولينا الجنوبية) أكبر سوق لتجارة الرقيق ، وفيها كان الافريقيون الأرقاء يودعون فى حظائر لا يستر أجسادهم شيء ، سوى الخرق البالية ، واذا اشترى أمريكى جماعة منهم قيدهم بالحبال ودفع بهم أمامه كالماشية الى حيث يقيمون فى أكواخ حقيرة ، ثم يساقون كل يوم الى الحقل والسياط تلهب ظهورهم ، حيث

يعملون من الفجر الى غروب الشمس ، وحتى يوم الأحد كانوا يرسلون الى الغابات ليجمعوا الأخشاب ثم يبيعوها ويشترون بثمنها ما يحتـــــاجون اليه ، وكان أبناؤهم يعتبرون ملكا لصاحب المزرعة ، له الحق فى بيعهم .

الرق ورجال الدين فى أمريكا :

عندما اعتنق بعض السود المسيحية كان المفروض أن المسيحى لا يستعبد مسيحيا مثله ولكن بعض الولايات أصدرت قانونا يجعل استرقاق المسيحى جائزاً ومشروعا والمفهوم طبعا هو أن ذلك المسيحى الذى يجوز استرقاقه هو ذلك الافريقى الأسود .

وبرر رجال الدين المسيحيين الاسترقاق بقولهم أن من واجب المسيحيين الأتقياء نشر المسيحية بين الوثنيين ولما كان من غير المتيسر الوصول الى الغابات الأفريقية لنشر المسيحية بين ســـــكانها فمن الواجب احضار الافريقيين الى أمريكا لجعلهم مسيحيين !!

بذلك أصبح استرقاق الافريقيين عملا دينيا يؤيده ويزكيه رجال الدين ويثاب عليه مالك الرقيق .

كما ذهب بعض رجال الدين المسيحى الى أن الجنس الأسود من نسل حام بن نوح ولما كانت التوراة قـــد ذكرت أن حاما أغضب أباه ، فلعن نسله ودعا عليـــه بالاسترقاق لنسل يافث بن نوح ، أى النسل الأبيض .

وشاع بين ملاك الرقيق أن الله يبارك لمالك الرقيق اذا تمكن من تحويل الأرقاء الوثنيين الى مسيحيين فاذا أصبحوا مسيحيين كان القسس يعلمونهم أن المسيحية

تؤكد على طاعة العبد للسيد مهما حدث ، فطاعة العبد وأمانته لسيده ضمان للجنة . كما حرم القسس على الزنوج قراءة الكتاب المقدس ووضعت كتب دينية للزنوج تتضمن تلك المبادىء الشاذة وغيرها وخلاصتها الحث على وجوب الطاعة والرضوخ للأسياد مهما كان اسلوب معاملتهم وأن صبر الزنجى وتحمله يثاب عليه فى الآخرة .

بدء استنكار الرق :

وظلت هذه الحال سائدة حتى أوائل القرن التاسع عشر ثم بدأت أصوات استنكار لها فى الدانيمارك ثم فى انجلترا منادية بأن هذا عمل وحشى يتنافى والدين المسيحى . وحدث مثل هذا فى الولايات المتحدة نفسها . فاما الدانيمارك فلم تكن تشترك فى تجارة الرقيق من قريب أو بعيد وأما انجلترا فربما كان الدافع لها الانتقام من الولايات المتحدة التى ظفرت بالتحرر من ربقة الاستعمار البريطانى وحرمانها من الأيدى العاملة الرخيصة ، وأما الولايات المتحدة فكانت أسواقها قد اكتظت بالرقيق ولم تعد فى حاجة الى بضاعة جديدة وفى التوالد والتكاثر الطبيعى بين زنوجها ما يكفى لسد الحاجة ، ولعل الدافع الأساسى هو غرب أفريقيا ــ الذى عرف باسم ساحل العبيد ــ قد استنفد موارده من الرقيق وأصبح كالمنجم الذى نضب ما به .

ومهما يكن من أمر فقد واصلت انجلترا دعوتها وأبرمت اتفاقات ومعاهدات تستنكر تجارة الرقيق وتحرمها . وجدير بالذكر ان مصر وقعت مع انجلترا

معاهدة لالغاء الرقيق ومنع التجارة فيه عام ١٨٧٧ .

استنكار الرق في الولايات المتحدة :

منذ بداية القرن ١٩ رثى بعض ذى النفوس الكبيرة لحال الرقيق فى الولايات المتحـــدة فعملوا على تحرير من استطاعوا وارسلوا بهم الى غرب أفريقيا للاقـامة فى مدينة أقيمت هناك باسم « منروفيا » عام ١٨٢٢ وقد توسعت المدينة وضمت اليها أجزاء كبيرة لكثرة الزنوج المحررين العائدين لافريقيا وفى عام ١٨٤٧ أصبحت تلك المناطق جمهورية باسم ليبيريا .

وقد قامت عقب الاستقلال حركة ترمى الى الغـــاء الرق فى الولايات المتحدة وتكونت عدة جمعيات وعقدت عدة مؤتمرات أصدرت قرارات استنكرت فيهـا الرق وطالبت بالغائه ، وأخذت الولايات المتحدة فى تنفيـذ تلك القـــرارات التى تقضى بها أبسط المبـــــادىء الانسانية .

وسرت فى البلاد روح جديدة اذ قام فريق من الكتاب والشـــــعراء ينددون بالاسترقاق وفى طليعتهم الكاتب الأمريكى « رالف أمرسون » (١٨٠٣ - ١٨٨٢) كما زاد عدد الهيئات التى نادت بالغائه ، وهاجم رجال الدين الرق على منابر الـكنائس ، وتحمس الـكثيرون فكانوا يساعدون على تهريب الارقاء من الولايات الجنـوبية الى الشمالية والى كندا .

وانبرت الكاتبة « هاريت بيتشر ستو » (١٨١٢ - ١٨٩٦) لتصوير حال الافريقيين السود بأمريكا فى قصة مسلسلة طويلة نشرتها احدى المجلات وأطلقت عليها اسم

« كوخ العام توم » ثم ظهرت كاملة مطبوعة فى كتاب خلال شهر مارس ١٨٥٢ . ولقيت تلك القصة رواجا لا مثيل له فأعيد طبعها مرارا .

ولكن جمهرة أبناء الجنوب عارضوا فكرة التحرير لحاجتهم الى الأيدى العاملة الرخيصة ولا سيما بعد اختراع آلة حلج القطن الميكانيكية عام ١٧٩٣ ، فقد كان الزنجى يمضى يوما بأكمله فى تنقية بضعة أرطال من القطن ، ومن ثم كانت عملية شاقة تحتاج لوقت طويل ولذلك لم تكن للقطن أهمية تذكر كمحصول لصعوبة الافادة منه .

فلما ظهرت آلة الحلج الميكانيكية غيرت الأوضاع وأصبح فى استطاعة الزنجى أن يدير دولاب الحليج لحلج خمسين رطلا على الأقل يوميا . وكانت النتيجة الاقبال على زراعة القطن وزيادة انتاجه من ١٠٫٠٠٠ بالة عام ١٧٩٣ الى ٧٣٫٠٠٠ بالة عام ١٨٠٠ ثم الى ١٧٨٫٠٠٠ بالة عام ١٨١٠ ، وفى عام ١٨٦١ كان الانتاج ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ بالة . ولذلك سادت الجنوب زراعة القطن واتسعت أسواقه واحتاج المزارعون الى أرقاء أكثر .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلت لالغاء الرق فقد ارتفع عدد الأرقاء من ١٫١٩١٫٠٠٠ عام ١٨٠٠ الى أربعة ملايين عام ١٨٦٠ .

ومما ساعد على ازدياد عدد الأرقاء أن الكونجرس ترك امر الاسترقاق الى كل ولاية على حدة ، مما أثار الشماليين ودفعهم الى تكوين حزب انضم اليه « ابراهام لنكولن » وتكون فى نفس الوقت حزب معارض من الجنوبيين بزعامة « جفرسون دافير » (١٨٠٨ — ١٨٨٩) .

وحلت انتخابات رياسة الجمهورية وكان لنكولن فى طليعة المرشحين وكانت الخطة السياسية لحزبه (الجمهورى) هى أنه « ليس للكونجرس أو لاي مجلس تشريعي فى المقاطعات التصريح بالرق بصفة قانونية فى أية ولاية من الولايات الأمريكية » .

وشعر الجنوبيون بما فى هذا المبدأ من خطر على اقتصادياتهم ، ولذلك أعدوا عدتهم للانسحاب من الاتحاد الأمريكى اذا ما فاز لنكولن فى الانتخابات .

ولذلك ما كاد يعلن انتخاب لنكولن رئيسا حتى بادرت ولاية كارولينا الجنوبية باعلان الانفصال عن الاتحاد الأمريكى فى ديسمبر ١٨٦٠ وتبعتها ست ولايات أخرى ، وانتخبت هذه الولايات السبع « جفرسون دافيز » رئيسا مؤقتا .

ازاء ذلك أعلن لنكولن فى خطابه الاول سياسته نحو الرق وصرح بوجوب دوام اتحاد الولايات وبطلان الدعوة الى انسحاب أية ولاية منه .

وبات الجميع يترقبون الحرب ولكن كلا من الفريقين بقى محجما عن كل ما يؤدى الى نشوب القتال .

وأخيرا اعتدى الجنوبيون على حامية تابعة للشماليين فى ميناء « تشارلستون » بولاية كارولينا الجنوبية فى أوائل ١٨٦١ ، وفى نفس الوقت أعلنت ولايات أخرى الانفصال عن الاتحاد الأمريكى .

وقامت الحرب التى استمرت حتى ابريل ١٨٦٥ وانتهت بانتصار الشماليين واعلان الغاء الرق نهائيا . واستطاع نفر من الافريقيين أن يشق طريقه الى الثراء

وذلك لتعدد مصادر الثروة هناك فأنشأوا المتاجر والمصانع الصــــغيرة وأصبحوا بمرور الايام منافسين أشــداء للبيض .

وفى الوقت نفسه قام فريق من جنــود الجنــوب المسرحين بتــكوين ناد لهم فى مدينة « بولاســـكى » Pulaski احدى مدن الولايات الجنوبية ، ولما كانوا شبانا فقد عمدوا الى الحفلات يقيمونها ليلا حول النيران فى الخلاء ، ثم دفعهم المجون الى ابتكار ملابس تنكرية واتخاذ مصطلحات خاصة ، وجلراهم فى هــذا العبث جنود بعض المدن الأخرى وشبانها ، وتفتقت اذهانهم عن هذا اللباس الغريب ذى اللون الأبيض وسموا انفسهم « الكوكلوكس كلان » الذين لاحظوا ان الافريقيين اخذوا يشقون طريقهم فى المجتمع الأمريكى ، ويحلون محلهم ، فأكلت الغيرة صدورهم ، وعمدوا الى مضايقتهم بشتى الطرق ، فرسموا لهم حدودا لا يتخطونهــا ، فى طليعتها تحريم زواجهم بالبيض ، وتغالوا فى هذا الاتجاه فحرموا على البيض الزواج من الافريقيات .

ثم تطورت الأمور بمضى الأيام ، وغمرت أعضاء هذه الجماعة موهبة من الحماسة للاصلاح الروحى والخلقى فأخذت تنزل العقاب بمن يفرطون فى الخمر أو يقصرون فى التوجه الى الكنيسة أو يظهرون عطفا على الافريقيين وكان هؤلاء يعاقبون بجلدهم بالســياط عادة أو بنهب متاجرهم ، مما أثار الرأى العام فأصدرت مختلف الولايات عام ١٨٧٥ قوانين بالغــاء « جمــاعة الكوكلوكس كلان » وما يشابهها .

ولكن قيام الحرب العظمى الأولى والتحاق عدد كبير منهم بالجيش وترقية بعضهم الى مراتب الضباط ، وتغلغلهم في مختلف نواحي الحياة الأمريكية ، وظهورهم أعضاء عاملين فيها . كل ذلك لفت الأنظار اليهم وزاد الحقد عندما انتشرت البطالة بين البيض عقب الحرب فثارت ثائرة بعض البيض ، وعادت « جماعة الكوكلوكس كلان » من جديد الى اضطهاد السود في شتى نواحي الحياة .

وأصبح اضطهاد السود في أمريكا يختلف عن كل اضطهاد عنصرى ، لأنه كان اضطهادا شبه رسمى تقضى به قوانين بعض الولايات ، فولاية ميسيسيبى وعدد غير قليل من الولايات الأخرى كانت تحتم فصل التلاميذ البيض عن السود في مختلف مراحل التعليم ، كما تعتبر زواج شخص أبيض من شخص افريقى الأصل زواجا باطلا ، بل أن بعضها تغالى في ذلك الى درجة لا يتصورها العقل كتخصيص كنائس وسيارات وغير ذلك لهم .

والويل كل الويل لمن جرؤ على مخالفة الحدود المرسومة أو التقاليد الموضوعة ، فقد كان أبسط عقاب له هو طريقة « لينش » (١) أى التعليق من الرقبة فى شجرة .

كما كان الكفيل بتنفيذ تلك العقوبة هم أعضاء هذه الجمعيات .

---

(١) لينش اسم مزارع أمريكي كان يملك مزرعة بعيدة عن العمران ابان السنوات الاولى للهجرة ، وكان يعاقب بنفسه من يهاجمون مزرعته أو يحاولون السطو عليها بتعليقهم من رقابهم على الشجر دون أن يلجأ الى رجال الامن .

وقلما استطاع رجال الشرطة أن يقفوا فى طريق هذا الانتقام الوحشي الذى يقدم عليه البيض دون روية أو تفكير واذا حدث أن تدخلت الشرطة وقبضت على أسود متهم بأية جريمة فى انتظار محاكمته فكثيرا ما يختطفه البيض ليعدموه بهذه الطريقة البشعة دون انتظار لنتيجة التحقيق التى كثيرا ما أسفرت عن براءة السود مما اتهموا به .

وكثيرا ما لقى الشرقيون الذين يقيمون بالولايات متاعب جمة بسبب لونهم من ذلك ما حدث لسفير الهند فى ٢٣ من أغسطس ١٩٥٥ اذ أجبره رجال أحد المطارات الى الانتقال الى القاعة المخصصة للسود لتناول غذائه قبل سفره الى المكسيك مما اضطر الحكومة الامريكية الى الاعتذار رسميا عن هذا الحادث .

ومنذ عدة أعوام اعتدنا أن نقرأ فى بداية كل عام دراسى ما يقوم به الشباب فى الجامعات والمعاهد العليا من حركات عنيفة للحيلولة دون التحاق السود بتلك الجامعات والمعاهد .

وكل ذلك بايعاز وتأييد من جماعة « الشيطان الأبيض » رغم أن السود يشاطرون البيض فى دفع الضرائب المحلية الخاصة بالتعليم .

ومن أكثر ما يروى فى هذا الصدد طرافة أن مجلس احدى المدن الكبرى الجنوبية المعروفة بعدائها للسود جمع من سكانها البيض والسود على السواء مبلغا كبيرا ساهم السود فيه بنحو الربع لتحسين حال مدارسها .

واجتمع مجلس المدينة وبين أعضائه قلة من السود

وقرر باغلبية الأصوات تحويل المبلغ كله للانفـــاق على مدارس البيض .

وهنا تساءل أحد الأعضاء السود : هل تعنون بدفع المبلغ لمدارس البيض أن تخرج شبابا مهذبا ؟

فأجاب الأعضاء البيض : نعم .

وكان تعليق هذا العضـــو : اذن نحن السود على استعدادا لدفع مبلغ آخر يعدل ما دفعناه لكى يكون شبابكم أكثر تهذيبا !

وبعد أن هدأت الحال نسبيا عادت تلك الجماعات ، كوكلوكس كلان الى الظهور فى السنوات الاخيرة وخاصة في الجنوب حيث يكثر الزنوج وأقدم بعض أعضائها على قتل الزنوج وخاصة الاطفال دون ما سبب أو بسبب تافه .

وكان قمة الاعتداء على الزنوج هو مصرع الزعيم الزنجى دكتور مارتن لوثر كنج فى ٤ ابريل ١٩٦٨ بمدينة ممفيس بولاية تنيسى .

ثورات الأرقاء :

ومنذ بدأت تجارة الرقيق تسود أمريكا ، لم يستكن الأرقاء للظلم فقاموا بعدة ثورات منها ثورة فى نيويورك عام ١٧١٢ انتهت بانتحار ستة والحكم بالشنق على واحد وعشرين زنجيا ، كمـــا قامت ثورة أخرى عام ١٧٤١ وانتهت بشنق ١٣ واحراق ١٣ واعادة ٧١ زنجيا الى افريقيا .

وفى عام ١٨٣١ قاد الزنجى « نات ترنر » ثورة فى

فرجينيا وقتل ٤٧ رجلا أبيض وقد استدعى الجيش لاخمادها وقبض على « ترنر » وشنق مع بعض المشتركين معه .

وفى عام ١٩٦٧ انفجرت اكبر ثورة للزنوج فى الولايات المتحدة بسبب سياسة جونسون العنصرية فاندلعت نيران الغضب المكبوت فى نفوس أكثر من ٢٠ مليون يحملون الجنسية الأمريكية اسما ولكنهم لا يعاملون كمواطنين أمريكيين وانما يعاملون معاملة شاذة باعتبارهم أقل مستوى من البيض وقد امتدت اعمال العنف والتخريب فى ٩ ولايات مما اضطر الجيش الأمريكى للتدخل لانقاذ الموقف .

وانتهى الأمر بالغاء كثير من القوانين الشاذة التى لا تكفل للزنوج المساواة بالبيض ، ولكن بصفة رسمية ، أما العرف السائد بين البيض فيما يختص بمعاملتهم ونظرتهم للسود فسيحتاج الى عشرات الأعوام حتى تسود المساواة الحقيقية .

بعض مشاهير الزنوج :

ولم ينكر المؤرخون المنصفون التنويه بالسود الذين أدوا خدمات جليلة للمجتمع الأمريكى ، بل ووضعوهم فى مصاف الأعلام ومن هؤلاء جورج واشنطن كارفر (١٨٦١ ـ ١٩٤٣) ذلك العلامة الذى قام بعدة أبحاث لتفادى وعلاج أمراض النباتات بصفة خاصة ، مما ضاعف من محاصيل الولايات الجنوبية ومنهم دكتور « رالف بنش » سكرتير عام الأمم المتحدة وكذا « اندرو يانج » سفير الولايات المتحدة فى هيئة الأمم المتحدة

عام ١٩٧٧ ، يضاف الى هؤلاء جميعا أبطال الدورات الأولمبية فأغلبهم من الزنوج ، وينتمى الى هؤلاء البطل محمد على كلاى وهو غنى عن التعريف .

بعض احصاءات :

يبلغ عدد سكان الولايات المتحدة نحو ٢١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ منهم نحو ١٨٤ر٠٠٠ر٠٠٠ أبيض و ٢٦ر٠٠٠ر٠٠٠ أسود اى بنسبة ٧ : ١ ولا شك أن هذه النسبة ستتزايد على مرور الأيام لكثرة تناسل السود .

وأما نسبة التعليم فهى ٨ : ١ .

وأما الدخل فمتوسط دخل الأسود أقل كثيرا من نصف دخل الأبيض .

وأكثر المناطق ازدحاما بالسود هى مدينة نيويورك .

وبعد فان البعض يعتقد أن ما يحدث للسود انما هو نتيجة لهوس وتعصب بعض الشبان البيض وان الزمان كفيل بردع هؤلاء ، خاصة وان السود أصبح منهم اعضاء فى الكونجرس ومجالس الولايات بل وحكام لبعض الولايات وقضاة ومحامون .. الخ ، مما يدفع الى احترامهم وتقديرهم .

ويوم تسود المساواة الحقيقية ، يومئذ يحق لأبناء الولايات المتحدة أن يزهو بديمقراطيتهم ويفخر تمثال الحرية ، المقام فى مدخل ميناء نيويورك بأن رسالته قد تحققت .

مقدمة

بقلم جون هنريك كلارك (١)

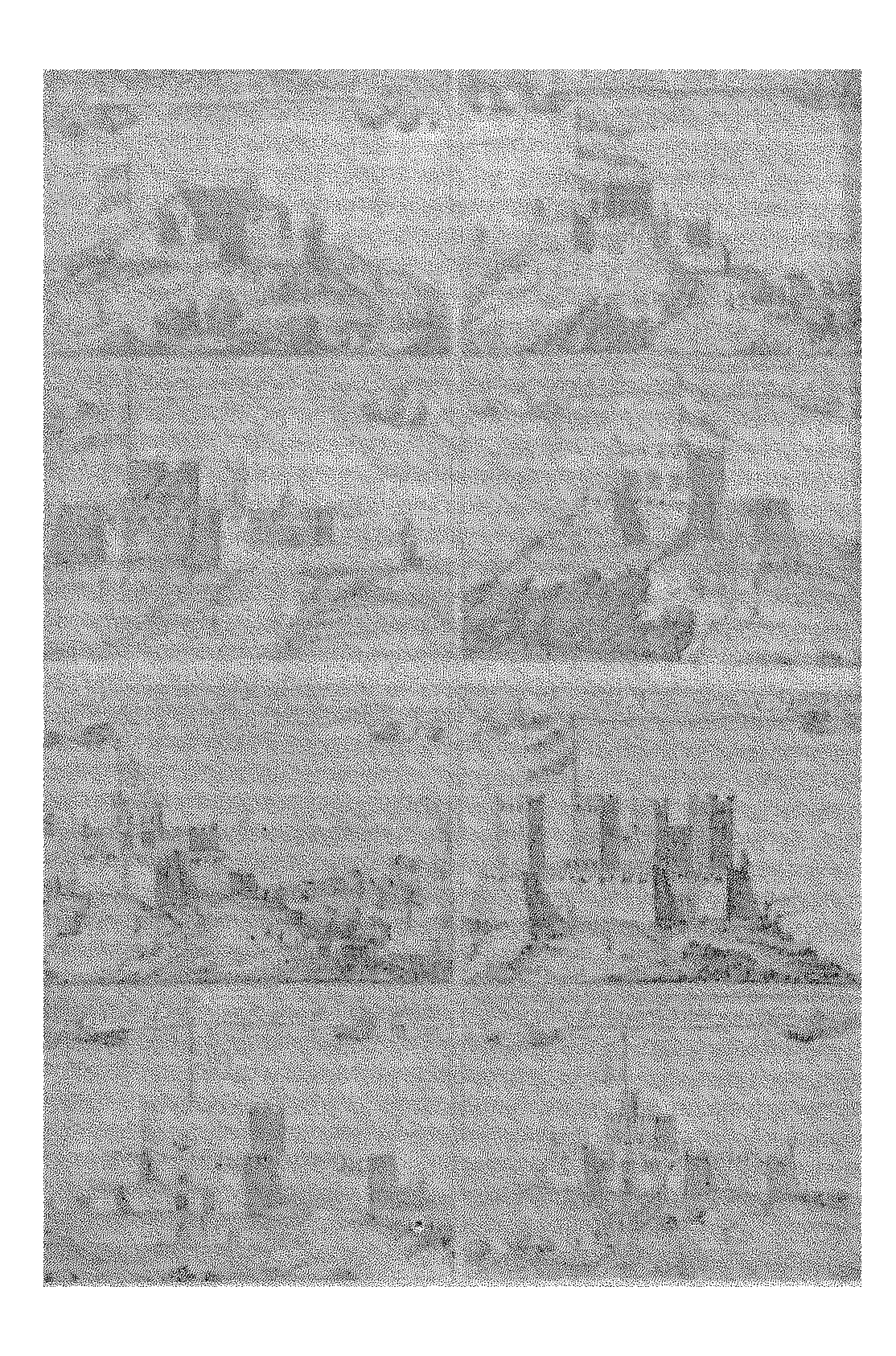
فى هذا الكتاب الثانى من سلسلة « تراث السود » ، قام الكتاب المشتركون فى تأليفه باستئناف واعادة بحث موضوع كتب عنه الكثير ولكنه لا يزال يساء فهمه لدى أغلب الناس . وأساس اساءة الفهم هذه هو أن معظم الدارسين لهذا الموضوع ينظرون الى تجارة الرقيق الافريقى باعتبار أنها كانت نظام الرق الوحيد الذى عرفه الانسان . والواقع ان الرق نظام قديم وليس هناك بين معظم الشعوب من لم يكن فريسة له فى وقت ما .

وتجارة الرقيق الافريقى يمكن فهمها بجلاء اذا ألقينا نظرة موجزة على الجذور التاريخية للرق كنظام عالمى .

لقد كان الرق فى المجتمعات القديمة مختلفا عن نوع الرق الذى أدخله الأوربيون الى أفريقيا فى القرنين

---

(١) هو كاتب ومربى ومحرر ومؤرخ معروف دوليا بكتاباته عن ثقافة السود المعاصرة والتاريخ الافرو أمريكي وهو أحد مؤسسى أكاديمية السود للفنون والاداب ومحرر مجلة « سبل الحرية » وهو مستشار تليفزيونى عن تراث السود • وقد نشر عدة كتب عن حياة أعلام أفريقيا وعن الاقاصيص الافريقية وغيرها • نال شهادة الليسانس من جامعة نيويورك وقد سافر الى غرب افريقيا حيث ألقى عدة محاضرات عن تاريخ افريقيا فى جامعة نيجيريا وجامعة غانا • وقد عين أخيرا أستاذا مساعدا للدراسات الخاصة بالسود فى جامعة نيويورك •



الخامس والسادس عشر .

لقد كان الرقيق فى أغلب المجتمعات القديمة يظل مسترقا لمدة محددة ، وفى أغلب الحالات كان الأرقاء من أسرى الحروب المحلية ، ولم يكن لون الجلد هو العامل الذى يقرر مصير الشخص من حيث الاسترقاق ، كما كانت للأرقاء حقوق يحترمها « أسيادهم » ، ففى مصر وكوش واليونان وروما فى أوائل ظهورها ، كانت هناك قوانين معروفة تحكم العلاقة بين الأرقاء و « أسيادهم » ، وبعض هذه القوانين سجلته شرائع موسى .

وفى كتاب « تاريخ الرق وتجارة الرقيق » ذكر مؤلفه و . بليك عن الرق فى العصور القديمة ما يأتى :

« لقد أجازت الشريعة الموسوية ما كان موجودا ، قبل ظهورها ، فى الأمم المحيطة دون أن تحاول جعله نظاما ثابتا وقد نصت الشرائع اليهودية على تعديلات وتغييرات حسنت أحوال الأرقاء من أبناء هذا الشعب الذى كان يمكن لبعض أبنائه استرقاق البعض الآخر ، فاليهودى يمكنه أن يبيع نفسه اذا كان فقيرا ، كما يستطيع الأب أن يبيع أطفاله ، وكذلك الدائن يمكنه أن يسترق المدين واللصوص الذين لا يستطيعون رد ما سرقوه كانوا يباعون لمصلحة المسروق منهم . أما أسرى الحـــــرب فمصيرهم الى الاسترقاق واذا اشترى يهودى أسيرا يهوديا من شخص غير يهودى فيمكنه بيعه الى يهودى آخر .

وعند حلول عام اليوبيل (١) يطلق سراح جميع الأسرى اليهود ، دون غيرهم .

---

(١) اليوبيل هو الاحتفال الذى كان يقيمه اليهود كل خمسين عاما لذكرى خروجهم من مصر . « المترجم »

وتقضي شرائع موسى بأنه اذا ضرب سيد خادما أو خادمة من الرقيق وتسبب في موته فانه يعاقب وهذا لا ينطبق الا على الرقيق اليهودي . ونصت تلك الشرائع أيضا على أنه في استطاعة أي يهودي أن يسترد حريته اذا استطاع ذلك بنفسه أو بمساعدة أصدقائه وله الحق في ان يأخذ معه زوجته وأطفاله عند تحرره .

وهذا يدل على أن الرقيق في العالم القديم كان يلقى بعض الانسانية ، وهذا ينطبق على آسيا وأفريقيا قديما . والواقع أنه في افريقيا ــ خلال العصور القديمة والحديثة ــ سما بعض الأرقاء فوق نير الاسترقاق وأصبحوا ملوكا على الجماعات التي كانوا أرقاء فيها .

واذا كان وجود الرق في غرب أفريقيا قبل اتصالها بالأوربيين مبررا لتجارة الرقيق فان نظام الرقيق الذي كان موجودا يختلف عما ابتكره الأوربيون ، ذلك لأن النظام الأوربي جرد الرقيق من الصفات الانسانية كلية وهذا التجريد استمر بطرق مختلفة خلال عصور الرق واستمر خلال فترات الاستعمار . وهذا التصرف الصليبي دعمه أساس منطقي خلقته الى حد ما الكنيسة ثم توسع فيه كتاب القرنين السابع والثامن عشر وفي تلك الفترة انبثقت الأسطورة التي تشير الى الزنوج بأنهم قوم بلا تاريخ ولا ثقافة ، واذا وجدت أسطورة واحدة أمكن ايجاد أساطير أخرى . وهذه الحقيقة يمكن فهمها بوضوح إذا أمعنا النظر في كيفية وأسباب ظهور تجارة الرقيق .

لقد بدأت جروح أوربا في أوائل القرن الخامس عشر تلتئم مما أصابها من الحروب خلال العصور الوسطى وخلال الحروب الصليبية . ولما كان الأوربيون قد ازدادت معرفتهم ببناء السفن ، فقد بدأوا البحث عن الطعام

لشعوبهم الجائعة ورغبة فى فتح عوالم جديدة . ولذلك تجاوزوا سواحل بلادهم بسفنهم . وهناك أسباب عديدة تعلل عدم قيام الأوربيين برحلات للكشف قبل تلك الأيام منها أن سفنهم كانت صغيرة وغير مأمونة لتحمل رحلات بحرية طويلة ، كما كانت المجاديف تستعمل لتحريك تلك السفن التى كانت تعتمد عادة على الريح ، هذا فضلا عن الحاجة الى خرائط وآلات دقيقة لارشاد البحارة خلال المياه المجهولة .

وكان الأوربيون يومئذ لا يعرفون شكل الأرض وكان البعض يعتقد أنها مسطحة . وقد انبرى البرتغاليون لدحض ذلك الاعتقاد ، وحوالى منتصف القرن الخامس عشر بدأوا التجارة مع أهالى الساحل الغربى لأفريقيا وقد أطلقوا عليه اسم « غينيا » وقد اقتبسوه من اسم « امبراطورية غانة السودانية » . وكان الذهب أهم ما تاجروا فيه ولم يمض زمن طويل حتى بدأوا يتاجرون فى العبيد كذلك .

وقد بدأت الاضطرابات الاجتماعية والسياسية تظهر وتزداد بين شعوب افريقيا فى الوقت الذى بدأت فيه أوربا تسترد قوتها وتتوحد بعض أجزائها . وكان الأوربيون الأوائل الذين قدموا الى الساحل الغربى لأفريقيا فى غير حاجة الى استعمال القوة لينزلوا بتلك الجهات ويتجولوا فيها ، لقد قدموا كضيوف وعوملوا كضيوف ولكنهم لم يلبثوا ، بعد زمن قليل ، أن قرروا البقاء كفاتحين وتجار رقيق ، ولتحقيق تلك الأهداف بدأوا ينحازون الى بعض الأسر الأفريقية المتخاصمة وغالبا ما كانوا يزودون من انحازوا اليهم بالأسلحة ، مستخدمين اياهم كصيادين للرقيق . وقد اندفعت بعض الأمم

الافريقية الى تجـــــارة الرقيق رغبة فى شراء بنـــادق ومصنوعات أوربية أخرى .

ولم يكن الحافز الأساسى لقدوم الاوربيين الى أفريقيا هو البحث عن الرقيق ، ذلك لأنهم طالما سمعوا عن الثروات الافريقية الطائلة وفى معركة سبتة (١) عام ١٤١٥ التى شنها ضد المراكشيين الأمير هنرى البرتغالى ، الذى عرف فيما بعد باسم الأمير هنرى الملاح ، سمع هـــذا الأمير ما قيـــل عن الرخاء والازدهار الـــذى تتمتع به تمبكتو (٢) والثروات الطائلة للدول التى تقع على الساحل الغربى لأفريقيا ، كما سمع كذلك قصصا عن ملك افريقى مسيحى يدعى « برستر جون » (٣) .

وقبل نهاية القرن الخامس عشر كان البرتغاليون قد عرفوا الشكل العام لأفريقيا وبدأوا يتجرون بانتظام مع الأقطار الافريقية منذ عام ١٤٧١ كما أخذوا فى انشاء الحصون على سواحل أفريقيـــا الغربى ، وأشهر تلك الحصون هو حصن « المينا » الذى يوجد فى غانا ، وقد شرع فى بنائه عام ١٤٨٢ قبطان برتغالى يدعى « دون ديجور أزامبوجا » وبسبب الأرباح الطائلة التى جناها البرتغاليون ، أطلقـــوا على ذلك الاقليم اسم « ساحل الذهب » .

وخلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر تجلى

---

(١) سبتة مدينة مراكشية تقع شرقى طنجة وتطل على البحر المتوســـط وكانت مراكش يومئذ تحت حكم المرينيين وقد استولى عليها هنرى هذا . « المترجم »

(٢) تقع اليوم فى مالى وكانت مركزا هاما للقوافل التجارية يومئذ . « المترجم »

(٣) شخصية اسطورية ظهرت فى القرن الوسطى ، وقيل أنه كان ملكا لاثيوبيا وأنه كان أغنى ملوك العالم فى عصره . « المترجم »

اتجاه القوميات الأوربية نحو التوسع التجارى فى الرقيق والسلع المصنوعة ، وكان زواج الملكة ايزابلا والملك فرديناند (١) وكلاهما أسبانى ، وتوحيد دولتيهما حتى أصبحت قوة كبرى تمكنت من اجلاء المسلمين عما بقى لهم فى أسبانيا عام ١٤٩٢ وبذلك أصبحت أسبانيا والبرتغال من أقوى الدول سلطانا فى البحر المتوسط .

وفى عام ١٤٤٨ استطاع بارثلميو دياز أن يصل الى الطرف الجنوبى لأفريقيا وبعد عشرة أعوام وصل برتغالى آخر هو فاسكو دى جاما الى المكان الذى وصل اليه دياز واستطاع بمعاونة ملاح عربى (٢) أن يبحر الى الهند ويصلها عام ١٤٩٨ ، وبذلك انفتح الباب امام العالم الغربى للوصول الى الهند .

وكان الأساس المنطقى لتبرير تجارة الرقيق قد وجد فعلا فى أوربا وذلك بمحاولة الأوربيين أسترقاق أوربيين آخرين من قبل . وهذا عامل تاريخى قلما ينظر اليه بعين الاعتبار . وقد بذلت جهود عنيفة للحصول على عمالة اوربية لاقتحام واستغلال المساحات الشاسعة فى العالم الجديد وخاصة فى الولايات المتحدة ومن ثم بدأ استرقاق البيض قبل استرقاق السود ، وقد ذكر الشىء الكثير عن تلك الحقيقة المؤرخ الأفرو أمريكى « ليروتبنيت الأصغر » وذلك بمجلة « ابونى Ebony » (٣) فى نوفمبر ١٩٦٩ ، اذ قال : عندما ندرس دون تحيز مآسى التاريخ الأمريكى فسندرك لأول وهلة أن الأفرو أمريكى الذى كان الثانى فى التمتع بالتحرر من الرق ، كان الثانى كذلك فى الابتلاء

---

(١) كانت ايزابلا ملكة لقشتالة وكان فرديناند ملكا لاراجون وقد تزوجا عام ١٤٦٩ . « المترجم »

(٢) هو احمد بن ماجد « المترجم »

(٣) نعنى خشب الابنوس الاسود اللون كما تعنى أسود « المترجم » .





بالرق ، بل كان الثالث فى الواقع فقد سبقه الى ذلك الأرقاء من الحمر (١) والبيض » .

لقد كان استرقاق الرجال الحمر والبيض فى بداية استعمار أمريكا مخالفا للقانون الانجليزى اذ أن المستعمرات انما أقيمت دون أن يكون هناك تفكير أو رغبة فى اقامة نظام يحتم تبعية العمال الزراعيين للأرض التى يقيمون عليها ويعملون فيها ، كما كان متبعا فى عصر الاقطاع بأوربا ، ولكن نظام السخرة الذى كان سائدا فى انجلترا انتقل الى المستعمرات وكان مبررا لفرض نوع من الاسترقاق على الرجال الحمر والبيض وبموجبه كان على راغب تعلم أى مهنة أو صناعة ، أن يعمل سبع سنوات وأن يتحمل من العقوبات ، ومنها الجلد ، ما يقرره رب العمل (المعلم أو الأسطى) وأن عليه أن يتم تلك المدة . وكان المحكوم عليهم بسبب جرائم ضد الدولة ، وكانوا غالبا من المجرمين السياسيين ، يعتبرون أرقاء للدولة وكثيرا ما كانوا يباعون لمن يحتاج الى استخدامهم عبر البحار . وقد طبق المستعمرون هذه الأوضاع على بعض مواطنيهم من البيض .

وكان هناك في انجلترا عدد كبير ممن يرغبون فى الارتحال الى أمريكا ولكنهم لا يملكون مصاريف السفر وهؤلاء كانوا يؤجرون أنفسهم عددا معينا من السنين مقابل الحصول على تلك المصاريف ، مع قبولهم توقيع العقوبات التى توقع عليهم ممن يتعاقدون معهم كالكى والجلد وتشويه أحد الأعضاء كالأرقاء السود تماما . وكانت هذه الأنواع من السخرة محددة المدد ولا تنتقل الى أبناء المسخرين . حدث هذا بينما كان القانون العام

(١) يقصد الهنود الحمر « المترجم »

هو أن الانسان الأبيض يولد حرا .

وعنـــدما نزل المستوطنون الانجليز بأمريكا بدأوا فى استرقاق جيرانهم الهنود ، وقد أراحوا ضمائرهم بأن من حقهم أن يستعبدوا الوثنيين . وقد قابل أغلب الهنود ذلك بالهـــرب أو الموت فى الأسر تاركين عددا قليلا من أبنائهم فى الاســـــتعباد ولذلك ظلت أراضى « انجلترا الجديدة » البكر فى حاجة الى أياد عاملة وهذا اقتضى البحث عن عمال بيض ثم أدى ذلك بعدئذ الى البحث عن عمال سود .

ويستطرد « بنيت » قائلا : « وكان اثنان من كل ثلاثة من البيض المستوطنين يعمل لمدة سنوات محـــددة فى الحقول أو مزارع الخضر وهم أشبه بالرقيق ... وكان هذا الاسترقاق للبيض هو الأساس الذى قام على أثره استرقاق السود » .

وما أوضحه بنيت يجاوز ما رمى إليه المشرفون على تأليف هذا الكتاب ، فقد حاولوا دراسة تجارة الرقيق من وجهة نظر جديدة والقاء الأضواء على النواحى التى أغفلت من قبل ، فقد لعب الأفريقيون دورا أساسيا فى تعبيد الطريق للأوربيين للاقامة فى العالم الجديد ، وكان ما قام به الأفريقيون من أعمال وما أخذ من بلادهم من مواد خام ، عوامل هامة ســـــاعدت على تقـــدم الثورة الصناعية الأوربية .

وقد أوضح البروفيســـــور لويد بست وادجار توبين وستوتن ليند (١) ، كيف أن الرق تطـــور مع النظـــام الزراعى حيث تحول الأفريقيون الى قوم أشير اليهم بانهم

(١) سنذكر ترجمة موجزة لكل منهم فى الفصول التى سيكتبونها .

زنوج ، وفى أغلب الحالات بذل كل جهد لتحطيم ثقافتهم الافريقية ثم لغتهم فيما بعد ، وكذا كل شيء يمكن ان يتذكروه قبل أن يصبحوا رقيقا . وقد تقدم هؤلاء الكتاب بأسئلة لا يمكن طرحها جانبا دون اجابات واضحة وأمينة . وهذه الأسئلة والاجابات يراد بها بدء دراسة جديدة لتجارة الرقيق والرق بصفة خاصـــة وفى بداية تاريخ أمريــكا بصفة عامة .

جون هنريك كلارك



تجـــارة الرقيـــق

بقلم جون هنريك كلارك (١)

لكي نفهم تاريخ تجارة الرقيق وتطورها في أفريقيا يجب أن ندرك أن الرق ـ كنظام اجتماعي ـ قديم قدم المجتمع البشري . ذلك لأن أفراد اى شعب كانوا في وقت ما عبيدا لشعب آخر .

والواقع أن الأوربيين استعبدوا أوربيين آخرين لمدد أطول من استعبادهم للأفريقيين ، لأن الاسترقاق كان ظاهرة سادت العالم القديم في مصر وكوش (بلاد النوبة) وروما .

وفترة الرق الأفريقى معروفة لنا جيدا لأن لهـــا وثائقها ، ومع ذلك فهـــذه الوثائق مربكة لأن من قاموا بتدوينها انما أرادوا تبرير تجارة الرقيق . وأغلب من دونوها ، وخاصة الأوربيين ، قصدوا اتهام ضحايا الرق بالاجرام ودافعوا عن تجارة الرقيق ، ومن ثم فليس هناك موضوع أحاط التضليل والخداع بتفسيره مثلما أحاط بهذا الموضوع ، ذلك لأن تجارة الرقيق الأفريقى كتب عنها كثير ، كما كتب عن تاريخ أفريقيا دون فهم وادراك

---

(١) له ترجمة موجزة مع مقدمة الكتاب .

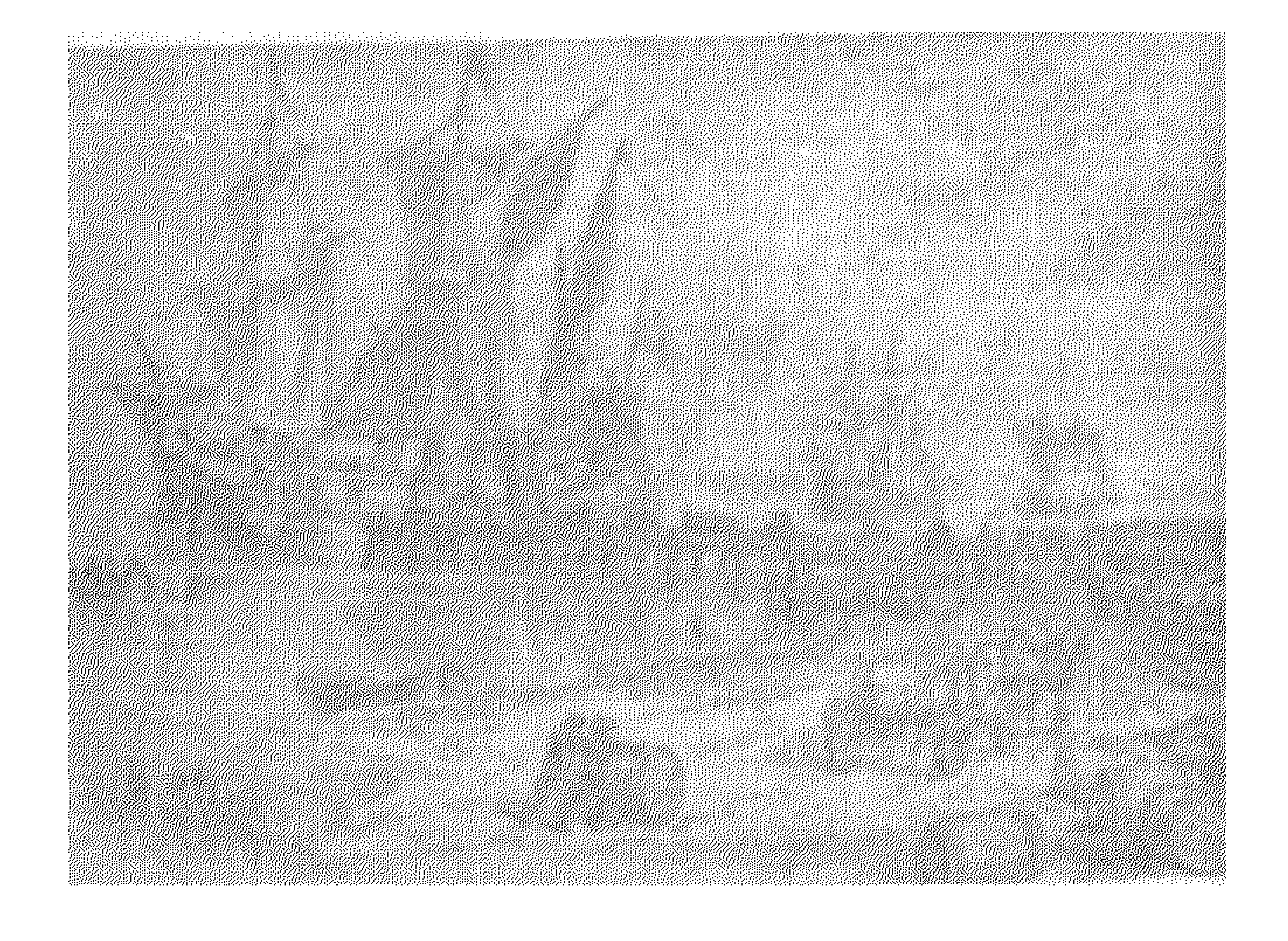
سليمين ، ذلك لأننا دائمـــا نبدأ دراسة تجارة الرقيق الافريقى فى المكان الخطأ أى الذى لم تبدأ فيه .

وقد بدأ الدافع والأســـاس المنطقى لتجارة الرقيق الأفريقى فى أذهان الأوربيين فى القـــرنين الخامس والسادس عشر .

ومن البديهى أن تجارة الرقيق ما كانت لتنشأ لو لم يكن لها أسواق ومن ثم فقد بدأت تلك التجارة عندما بدأ الأوربيون ينتشرون فى ذلك العالم الواسع ، يومئذ أقام الأوربيون أسواق الرقيق لأهداف أوربية .

لقد كان الأوربيون قبل القرن الخامس عشر مشغولين بالشئون الداخلية لأوربا فلما اكتشف العالم الجـديد وطرد العرب من اسبانيا ، بدأ الأوربيون ينتقلون من دولهم الى العالم الجديد الفسيح ، بحثـا عن اسواق جديدة ومواد جديدة وأيد عاملة وأرض بكر للاستغلال ، وكانت تجارة الرقيق هى الوسيلة الوحيد التى تشبع حاجة ذلك التوســع . وفى نفس الوقت كانت أسس الثورية الصناعية قد أقيمت ، كما ظهرت بذور التكنولوجيا ومنهـــا اختراع البندقية وفى السنوات التالية كون الأوربيون أساطيل بحرية كبيرة وحشدوا عليها مجموعات من أحط الجنود والبحـــارة ، مجموعات لا تشعر بأى عطف أو احترام لغير الأوربيين والهـدف هو الاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من العالم الجديد ، وبهذا قضى الأوربيون على شعوب وحضارات أقدم وأعرق مما كان بأوربا .

وكانت المشكلة الأســـاسية لدى الافريقيين عنـــد اتصالهم بالأوربيين فى تلك الفترة هى سذاجتهم البالغة، فهم لم يتعاملوا مع هذا النوع من الناس . لقد نشأوا





فى مجتمع الموارد الطبيعية فيه سخية ، تمدهم بما يكفيهم من طعام وارض وكل ما يحتاجونه من أشياء أساسية ليعيشوا عيشة راضية ولذلك كانت تلك المجتمعات الأفريقية يومئذ يسودها الشرف والالتزام الأخلاقى ، فالأرض لا تباع ولا تشترى ولم يكن هناك صراع على ملكية الأرض التى كانت ملكا للجميع .

ولما كان الأوربى قد جاء من مجتمع فيه الطبيعة قاسية ، مما تطلب الصراع مع الآخرين من أجل الطعام والأرض والنساء ، فقد اكتسب طبيعة الصراع ، الأمر الذى لم يستطع الأفريقى أن يجاريه فيه .

ولكي يبرر الأوربى هدم تلك المجتمعات الأفريقية ابتكر مبدأ التمييز العنصرى الرهيب وكانت تجارة الرقيق ونظام الاستعمار التى تلت ذلك هما أساس تلك المحنة المفجعة .

لقد كان الأوربيون — وخاصة البرتغاليين — الذين قدموا الى الساحل الغربى لأفريقيا فى القرن الخامس عشر ، لا يبحثون فى بادىء الأمر عن العبيد ، لأن الذهب وغيره من الأشياء الثمينة هو الذى أغراهم بالقدوم الى أفريقيا . ولم يكونوا فى حاجة الى الدخول للقارة كمقاتلين ولكن جاءوا كضيوف وعوملوا كضيوف . وبمضى الأيام ازدادت قوتهم فقرروا أن يكونوا غزاة وفاتحين وهكذا انقلبوا وغدروا بمضيفيهم .

وهناك أسطورة أو خرافة يجب أن نستبعدها الا وهى ان الأوربيين جاءوا الى أفريقيا لنشر الحضارة ، والواقع أن أغلب الحضارات العظمى التى كانت فى أفريقيا قد زالت بعد قدوم الأوربيين بدليل ما كان يشاع فى أوربا عن وجود مدن افريقية يغمرها الذهب والنساء

الجميلات ، كما كانت تردد فى أوربا أساطير عن امبراطور عظيم فى أثيوبيا يدعى « برستر جون » (١) ولكن عندما نزل البرتغاليون بأفريقيا كان برستر جون هذا قد مات منذ ثلاثمائة عام ، ومن الغريب أن البرتغاليون بحثوا عنه فى الجانب الغربى لأفريقيا ، بينما كان مقره الجانب الآخر .

لم يكن الأفريقيون فى حاجة الى الأوربيين ليروضوهم كشعوب متوحشة وهمجية لان الاوربيين اعترفوا بأنهم شاهدوا فى بداية نزولهم مدنا أفريقية حسنة التخطيط وأن الأفريقى كان على جانب كبير من الحضارة .

وبعد خمسين عاما ، وعندما أرادوا تبرير تجارة الرقيق ، أخذوا ينشرون الأكاذيب عن وحشية الافريقيين وأنهم يعيشون فى مجتمعات غير منظمة بلا مدن أو أية معارف عادية .

واذن فلم يأت الأوربى لأفريقيا ليدخل بها الحضارة ذلك أن الواقع يؤكد أنه ما من أمة غزت أمة أخرى الا بهدف استغلال تلك الأمة لفائدتها الخاصة ، وهذا ينطبق على البيض عندما يغزون بيضا آخرين وعلى السمر عندما يغزون سمرا آخرين وكذلك عندما يغزو السود سودا ، ذلك لأن هدف كل غاز ، أيا كان لونه ، انما هو أن يؤسس ويقيم ما يتفق وحاجياته وطرق معيشته ، وفى كل حالة تكون الثقافة المحلية هى الضحية .

وهذا ما حدث عندما غزا الأوربيون الساحل الغربى لأفريقيا . لقد اعترف الأوربيون بأنهم لم يجدوا قوما غير

---

(١) ذكرنا نبذة عنه فيما تقدم .

متحضرين وانما وجدوا مجتمعات منتظمة يسودها النظام والجمال .

***

في عام ١٤٣٤ أبحر أسطول برتغالي صغير الى سواحل غرب أفريقيا واقام هناك بعض محطات تجارية ، وفي عام ١٤٤١ حمل البرتغاليون من افريقيا بعض المحاصيل الاستوائية القيمة وعددا قليلا من العبيد، اشتروهم من قبيلة أفريقية كانت أسرتهم عقب احدى المناوشات المحلية مع قبيلة أخرى . وفي عام ١٤٨٢ بنوا حصن « المينا » وهو بداية الحصون التي بناها الأوربيون على الساحل الغربي لأفريقيا لحماية أنفسهم عندما شرعوا في تجارة الرقيق ، ذلك لأن الأوربيين في الواقع لم يبدأوا تجارة الرقيق الا بعد انشاء تلك الحصون . وبينما كانوا يبنون تلك الحصون بمساعدة الأفريقيين كانوا يصرحون لهؤلاء الأفريقيين بأنهم قدموا ابتغاء التجارة ، وصدق الأفريقيون ما سمعوه ولم تلبث تلك الحصون أن استخدمت كمحطات لاعتقال العبيد حتى يتم ارسالهم بالسفن الى العالم الجديد .

وقد حاول الاسكندنافيون ــ السويد والنرويج والدانيمارك ــ دخول ميدان تجارة الرقيق ولكنهم لم ينجحوا واكتفوا بأن يكونوا وسطاء في تلك التجارة .

وعندما طرد المغاربة المسلمون (أي البربر) من اسبانيا ، لجأوا الى أفريقيا بعد أن كانوا سادة البحر المتوسط لمدة ٧٥٠ عاما . ولم تكن لديهم أية رابطة عاطفية نحو أفريقيا ولذلك بدأوا ينقضون على الشعوب التي تقيم جنوب الصحراء وخاصة امبراطورية « سنغاي » فاستولوا على مناجم الملح في البداية لأن



الملح يومئـذ كان عظيم القيمة لدرجة أن التجـار كانوا يدفعون لكل كمية ملح ضعف وزنها ذهبا ، وبعثوا بجنود الى هناك ليعززوا سلطانهم وأصبح الصراع حول مناجم الملح الموجودة على حافة الصحراء الكبرى صراعا سياسيا واقتصاديا .

وحدث شيء آخر أيضا وهو أن كرستوفر كولمبس بدأ يحاول الوصول الى جزر الهند الشرقية ولكنه اكتشف ما عرف فيما بعد باسم جزر الهند الغربية فانفتح عالم جديد أمام الأوربيين فبادروا باستغلاله .

وبعد أن فشل كولمبس فى محاولته استخدام الهنود الحمر فى الزراعة جالت بخاطره فكرة استخدام عبيد من أفريقيا ؛ ذلك لأنه كان قد نزل بالسـاحل الغربى لأفريقيا ، قبل رحلته الى العالم الجديد ، وأدرك تماما ما بين الشعوب الأفريقيـة من منازعات ، فأوحى الى الأوربيين بفكرة استخدام الأفريقيين للعمل فى العـالم الجديد .

وفى نفس الوقت كان البرتغال والأسبان قد كسروا شوكة البربر فى البحر المتوسط وبدأت بينهم منافسة على مناطق ينفرد كل منهما بالنفوذ فيها، وكأمم كاثوليكية اتجهوا للبابا ليحكم بينهم وقضى البابا بأن تتجه احداهما للغـرب والأخرى للشرق ونتيجة لذلك الحكم أخذت أسبانيا تتوغل فى الغـرب بينما البرتغـال اتجهت الى الشرق .

وظهر يومئذ فى البرتغال أمير يدعى « هنرى الملاح » الذى لم يركب البحر فى حيـاته ، ولكنه أخذ يبعث بحملات بحرية برتغالية الى الساحل الغربى لأفريقيا ، مستعينا بخرائط وضعها يهود اتجروا بالذهب فى شمال

وغرب افريقيا ، وكانت حملات هنرى فى البداية للتجارة ثم تحولت لانشاء محطات فى تلك الجهات .

ولما طرد العرب من آسبانيا ، وعادوا الى مراكش ، اتفق معهم سلطانهـا المنصور على غزو أفريقيـا الاستوائية حيث توجـد امبراطورية سنغاى . وكانت هذه الغزوة المعول الذى هـدم آخر امبراطورية عظمى فى غرب أفريقيا وكانت الفـوضى التى أعقبت ذلك هى التى أفسحت الطريق فى أفريقيا لقيام الأوربيين بتجارة الرقيق فيها .

أما الانجليز قد دفعهم السير جـون هوكنز (١) الى تجارة الرقيق وجعلها عملية كبيرة مربحة ومنظمة وأنشأ مناطق للنفوذ وعقد اتفاقيات مع تجار الرقيق تعهـدوا فيها بعدم التعدى على مناطق نفوذ أحدهم .

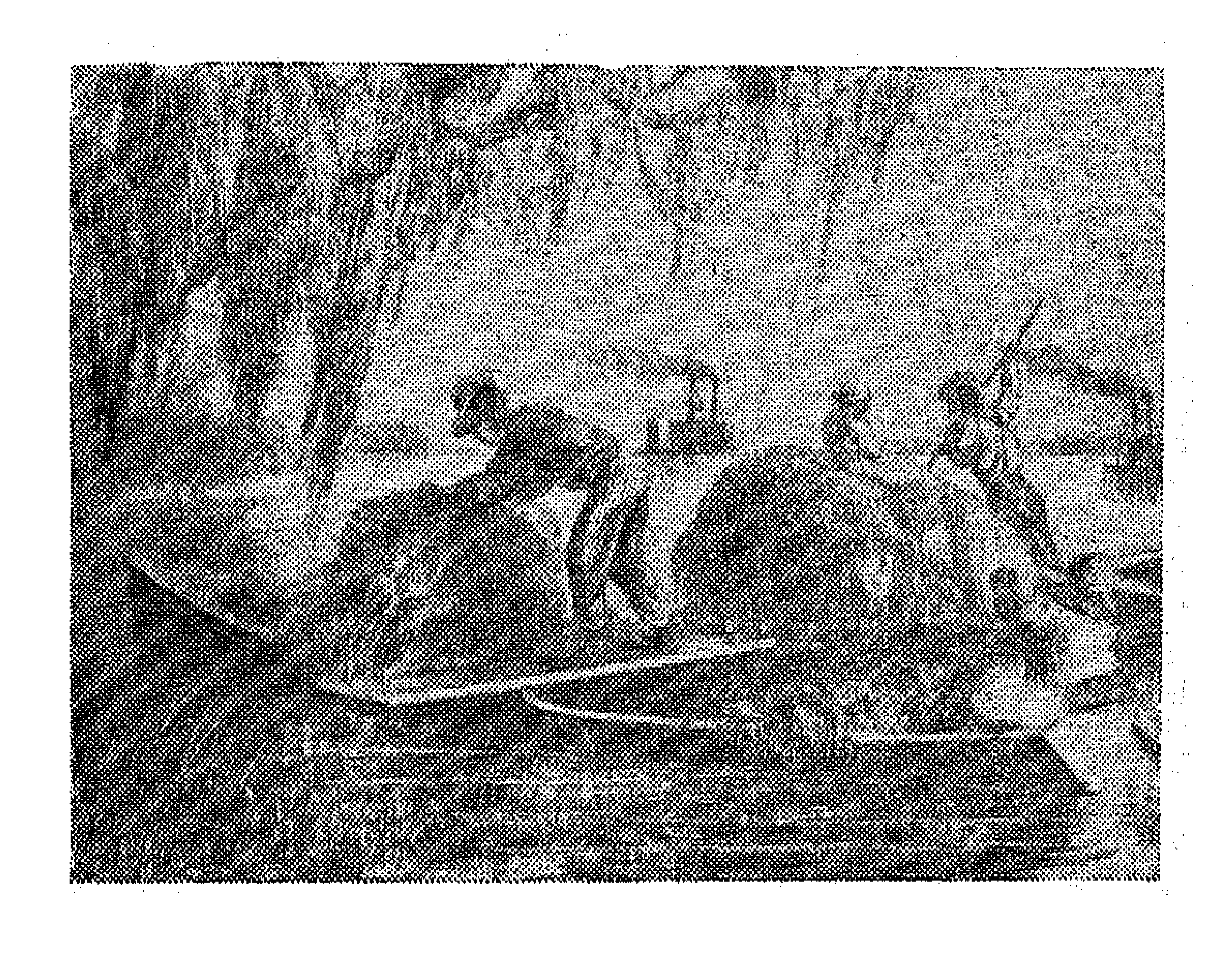
حدث هذا بينما كان البرتغاليون يطردون من بعض محطاتهم فى الجزء الشمالى من الساحل الفـربى ولذا نقلوا تجارتهم جنوبا الى الكنغو ثم الى مملـكة ماتامبا الصغيرة التى عرفت فيما بعد باسم انجولا ، واخيرا اتجه البرتغـاليون جنوبا وأقاموا بمدينة لواندا التى بناها الأفريقيون قبل قدوم الأوربيين وكانت مدينة حديثة بمعنى الـكلمة بالنسبة لذلك العصر .

ثم اتجه البرتغاليون الى أفريقيـا الشرقية ووطدوا أقدامهم فيما كان يعرف باسم مونوماتابا التى سميت باسم الملك الذى حكم اقليما فى شرق أفريقيا ، أطلق عليه الأفريقيون زيمبابوى . ولم يجد البرتغـاليون

(١) من أبطال البحرية البريطانية فى عهد الملكة اليزابيث وكان يتجر بالرقيق فى جزر الهند الغربية واشترك فى هزيمة أسطول الارمادا الاسبانى وقد عاش من ١٥٣٢ ـ ١٥٩٥ . « المترجم »

صعوبة فى جعل ذلك الملك يعتنق المسيحية .

ونجحت تجارة الرقيق واستمر الأفريقيون ينهمرون على العالم الجديد وعلى الرغم من اختلاف الأرقام الخاصة بتلك التجارة فقد قدر ما خسرته أفريقيا بما يتراوح بين ٦٠ الى ١٠٠ مليون شخص . وكانت تلك هى الجريمة الكبرى الفريدة فى تاريخ العالم التى ارتكبت ضد قوم ، لقد كانت أفجع مأساة خططت للابادة الجماعية لبعض شعوب أفريقيا .



تجارة الرقيق في العالم الجديد

بقلم جون هنريك كلارك

لم يكن الأفريقيون غرباء بالنسبة للعالم الجديد اذ يبدو انهم اقاموا في أمريكا الشمالية الجنوبية فترة طويلة قبل ظهور الاسترقاق والدليل على ذلك هو تلك المعالم الأفريقية الواضحة على بعض التماثيل في المكسيك وأمريكا الجنوبية مما يدل على أن الأفريقيين كانوا موجودين بالأمريكتين قبل كولمبس بمئات السنين ، وهذا الرأى أكثر من مجرد افتراض وقد اثبتته البحوث التى نشرها البروفسور ليو وينر فى كتابه « أفريقيا واكتشاف أمريكا » وما كتبه هارولد لورنس فى كتاب آخر يسمى « رواد أفريقيون للعالم الجديد » .

ولم يكن الافريقيون الأوائل الذين جاءوا الى العالم الجديد من الرقيق عكس ما هو شائع ، فقد ساهم هؤلاء فى بعض الحملات وخاصة الأسبانية واشهر هؤلاء الأفريقيين الرواد « استيفانيكو » الذى يعرف أحيانا باسم « ستيفن الصغير » الذى صحب حملة « فاكا » خلال تجوالها ستة أعوام من فاوريدا الى المكسيك . والشيء الجديد بالنسبة لاستيفانيكو الذى قدم الى أمريكا عام ١٥٢٧ ، أنه كان يتقن عدة لغات فقد تعلم

لغة الهنود الحمر فى أسابيع قليلة ولمعرفته بخصائص الأعشاب وبعض النواحى الطبية اعتبرته بعض القبائل الهندية الها .

وفى عام ١٥٣٩ صحب جماعة بقيادة فراى ماركوس دى نيزا » بحثا عن مدن سيبولا السبع الخرافية ولم تلبث تلك الجماعة أن منيت بالمرض بما فيهم فراى ماركوس ، ولكن استيفانيكو سار وحده واكتشف ما يعرف اليوم باسم مكسيكو الجديدة واريزونا .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن بدرو نينو Pedro Nino أحد المرشدين على السفينة القيادية لكرستوف كولمبس ، كان أفريقيا . وفى محاولة اكتشاف المحيط الهادى عام ١٥١٣ كان مع بالبوا ثلاثون أفريقيا ، ساعدوا فى كشف الطريق عبر البرزخ الذى يفصل بين المحيطين . وفى فتح المكسيك كان يصحب كورتز عدد من الافريقيين، ومن الغريب أن أحدهم كان رائدا لزراعة القمح فى العالم الجديد .

وفى جواتيمالا وشيلى وبيرو وفنزويلا وصل اليها جميعا الأفريقيون بنحو مائة عام قبل كشف الأوربيين لها فلما قدم الأوربيون أصبح هؤلاء عبيدا فى جيمس تون وفرجينيا عام ١٦١٩ .

واذن فقد ساهم الأفريقيون فى تكوين العالم الجديد الذى لم يأتوا اليه فارغو الأيادى من النواحى الفنية ، بل نقل عدد كبير منهم مهارات عديدة للعالم الجديد كاشغال الحديد والجلد والنجارة . لأن دول أفريقية الغربية كغانا وسنغاى عاشت فى مجتمع كانت الحياة الجامعية فيه أمرا عاديا وكان طلاب العلم موضع الاجلال ، وذلك قبل تحطيم الهيكل الاجتماعى لتلك



الدول والصراع الداخلى الذى ساعد على قيام تجـــارة الرقيق .

فى تلك الفترة من تاريخ غرب أفريقيا ازدهرت جامعة ســـانكور فى تمبكتو وكان مديرها « أحمد بابا » آخر جهابذة العلم فى غرب أفريقية اذ ألف ٤٧ كتابا ، كل منها فى موضوع خاص ، ومما يزيد تقديرنا له أنه تلقى تعليمه داخل أفريقيا ولم يغـــادر السودان الغربى الا عنـــدما نفى الى مراكش خــــلال غــزو ذلك الاقليم عام ١٥٩٢ .

بذلك يمكن القول أنه كان فى افريقيا ، قبل بدء تجارة الرقيق ، حياة ثقافية تعادل ان لم تتفوق على الثقافات الأوربية الموجودة فى أوربا يومئذ وأن تجارة الرقيق قد أودت بتلك الثقافة الأفريقية وخلفت محنـــة لم يستطع الأفريقى أن يتخلص منها حتى الآن .

لقد كان بأفريقيا فيما مضى حكام توسعوا بممالـــكم حتى صـــارت امبراطوريات ، وجيوش كبيرة أخضعت أمما بأكملها وقواد نهضوا بالفنون الحربية وعلماء اتصفوا بالحكمة وأصالة الرأى ، ورجال دين تحدثوا عن الهة رحيمة ذات بأس شديد ، غير أنه ويالأسف بذلت كل الجهود لمحو أى ذكرى تتصل بهذا الماضى المجيد فى ذهن الافريقيين المجلوبين الى أمريكا .

وكانت الزراعة فى العالم الجـــديد هى أكبر محطم للثقافة الأفريقية وأفظع مستغل للأفريقى الذى أصبح يسمى « زنجى Negro » يعامل باحتقار ويجرد من انســانيته ، الأمر الذى لم يكن له وجـود الا على يد الأوربيين . ولتحقيق ذلك الهـــدف أخذ الأوربيون ينشرون من الأساطير والخرافات ما يؤدى الى الاعتقاد

بأن الأفريقي خارج عن نطاق التاريخ الانساني ، واتخذ الأوربيون من الكنيسة الكاثوليكية مؤيدا لهم فتطوعت لتبرير الرق بزعم أن الأفريقي ، بفضل الرق ، قد اهتدى للمسيحية واستظل بها وأصبح أهلا لأن ينال بركاتها .

وكانت هناك عدة نظم يخضع لها الرقيق في العالم الجديد ، ولكي ندرك أثر هذه النظم المتباينة على شخصية الأفريقيين فعلينا أن نلقي نظرة على كل منها .

في كوبا وهايتي كان الأفريقيون أغلبية السكان وهذا ينطبق على مناطق في البرازيل ولذلك كان نظام المعاملة يختلف من منطقة لأخرى في تلك الجهات ، ولو أنه لم يخرج عن حدود الرق الا أن الأفريقي كانت لديه بعض الحرية للتمتع بما ورثه من تراث افريقي . ففي جنوب امريكا وفي جزر الهند الغربية لم يحظر صاحب العبيد الطبل الأفريقي أو أدوات الزينة أو الدين أو الأشياء الأخرى الحبيبة الى الأفريقي والتي لا يزال يذكرها . وهذا أتاح وجود صورة من صور الاتصال الثقافي بين العبيد في الهند الغربية وكوبا وأمريكا الجنوبية ، مما لم يوجد في الولايات المتحدة .

وفي المناطق البرتغالية في الهند الغربية ، وغالبا في أمريكا الجنوبية كان صاحب المزرعة يشتري حمولة أو نصف حمولة سفينة من العبيد وهؤلاء يجلبون عادة من نفس المناطق في أفريقيا ، ويتكلمون بطبيعة الحال نفس اللغة ولديهم نفس الثقافة . وجرت العادة على عدم تفريق أفراد الأسرة الواحدة واذا بيع عبد الى صاحب مزرعة في الطرف الآخر من الجزيرة ، كان في استطاعته أن يأتي ليزور أقاربه في المزرعة الأولى . مما ساعد

على جعل ثوراتهم في أمريـكا الجنوبية وكوبا وتاهيتى أكثر نجـــاحا من الثورات التى قـامت فى الولايات المتحدة .

ففى الولايات المتحدة ، كانت الطريقة التى استعملت لتحطيم كل عنصر ثقافى لدى العبيد طريقـة وحشية أزرت بكيانه وأنكرت شخصيته ونزلت الى حد بيع أفراد من الأسرة ، الواحد بعيدا عن الآخر ، دون اكتراث . فاذا اشترى شخص عشرين عبــدا فى بداية الأسبوع وشعر بحاجته الى نقود فى نهاية ذلك الأسبوع فقـد يبيع عشرة عبيد اذا وجد الثمن مناسبا وقد يباع هؤلاء العشرة خلال أيام قلائل وبذلك تحطم نظام الأسرة الذى قامت عليه الحياة الأفريقية ، بعكس الحال فى جنوب امريكا حيث أتيح للرقيق أن يبقى مع جماعته وأسرته ، وبذلك احتفظ ببعض تراثه الافريقى .

وعلى الرغم من تلك المخازى المفجعة فان الأفريقيين فى الأمريكتين ، بما فى ذلك الولايات المتحدة ، قـد ساهموا فى تدعيم الأقطار التى كانوا بها عبيدا .

وهناك ناحية تفــوت الكثيرين الا وهى دور المرأة الأفريقية فى العالم الجديد . ذلك أنه فى المـائة سنة الأولى بعد اكتشاف أمريكا ، كان عـدد النسـاء البيض المهاجرات اليهـا قليلا نسبيا ولذلك تكونت أسر عديدة فى العالم الجديد من « السيد » الأبيض والمرأة الأفريقية ، غير أن هذا « السيد » الأبيض نفسه ، لم يلبث أن سن قوانين تحرم التعليم على طفله وتحظر جلوسه بجـواره فى وسائل الانتقال العـامة . وفى هايتى كان للمرأة الأفريقية وضع شبه شرعى ، بينما كانت الأفريقية فى أمريكا الجنوبية وخاصة فى البرازيل تتحرر من الرق اذا



تزوجت « السيد الأبيض » . وتلك الزوجات الافريقيات بدأن فى توجيه أنظار أزواجهن الى العمل على تخفيف ويلات نظام الرقيق . وعلى العكس لم تقم بالولايات المتحدة أية محاولات مماثلة .

وفى بداية تلك الفترة سيطرت على العبيد فى هايتى وكوبا نزعة الحرية التى تمتعوا بها فى أوطانهم الأصلية ولذلك بدأت الحروب فيهما للتحرر من سادتهم الأوربيين ، وساهم الأفريقيون فى تحرير كوبا وهايتى وبعض جهات أخرى فى أمريكا الجنوبية ، كما قاتلوا الى جانب سيمون بوليفار لتحرير أمريكا الجنوبية واستبسلوا فى سبيل تحرير هايتى من سيطرة الفرنسيين .

وعندما ثار الأمريكيون بالولايات المتحدة ضد الانجليز قاتل كثير من العبيد بعد أن وعدوا بتحريرهم فيما بعد . وجدير بالذكر أن فريقا آخر من العبيد قاتل مع البريطانيين بتأثير نفس الوعد ، وصدق العبيد فى المعسكرين المتحاربين هذا الوعد .

لقد ساهم الأفريقي بأكبر جهد فى بناء العالم الجديد الذى اعتمد فى كيانه الاقتصادى الى حد كبير على اليد العاملة الأفريقية ، يؤيد ذلك أن ثلث تجارة العالم الجديد كان يقتصر على جزيرة سانتو دومنجو التى سميت هايتى فيما بعد ، والتى أثرت مع بعض جزر الكاريبى الأخرى على النظام الاقتصادى فى أوربا .

لقد كانت تجارة الرقيق أول استثمار دولى لرأس المال على نطاق واسع وقد أثرى كثير من الأوربيين نتيجة استثمار أموالهم فى شراء السفن لنقل العبيد والسلع الأفريقية .

ولكن ثورات العبيد استمرت وبدأت صـورة الرق تتغير بشكل واضح ذلك لأن ضروريات الاقتصاد وليس التعصب الجنسي هي التي تحكمت منذ البداية في توجيه تجارة الرقيق في العالم الجديد . وكانت أولى الثورات في الولايات المتحدة ، هي انضمام بعض العبيد الى بعض الخدم البيض الثائرين عام ١٦٦٣ . ومرت عدة سنوات اطلع خلالها بعض العبيـــد على ما ورد في التوراة من نصوص تؤكد أن الله خلقهم ليـكونوا احرارا . وكان ممن تمسكوا بتلك النصوص ونادوا بها جبرائيل بروسر في فرجينيا ، الـذي تزعم ثورة من ٤٠،٠٠٠ عبـد في سنة ١٨٠٠ . وتلاه في عام ١٨٢٢ نجار يدعى دنمـارك فيسي في كارولينا الجنـوبية الذي دبر اخدى الثورات العامة ولـكنه وشي به فاعدم مع كثير من اتباعه . وفي عام ١٨٣١ قاد نات ترنر أعظم ثورة للعبيد في فرجينيا .

من ذلك يتبين أن العبيد لم يقفوا موقفا سلبيا من محنتهم فقد ذكر دكتور « هربرت ابتكر » ٢٥٠ ثورة لهم في كتابه « ثورات العبيد الزنوج في أمريكا » فالأفريقي في الامريكتين ، فضلا عن معاونته في استقلالها وتدعيم اقتصادها قام بدور كبير في سبيل استرداد حريته .

وفي قصة قيام وسقوط الدول الأفريقية الـكبرى وما تبع ذلك من تجارة الرقيق ، نعـالج موضوعا أكبر بكثير من التاريخ نفسه ، نعالج موقفـــا قديمـا وآخر جديدا ، موجهين الحديث الى المطـــالبة بالمام بتاريخ السود وقوة السود .

وهدفنا الأساسي هو أن نوضح ان الافريقيين الذين اصبحوا عبيدا في الولايات المتحدة كانوا أفرادا عديدين منهم الصالح والطـــالح ، وهم قد حكموا أمما كبرى

وحطموا دولا عظمى وهم فى سماء أنفسهم بشر ، قاموا بكل ادوار البشر فى الدراما البشرية ، وكان من بينهم القديس والمهـــــج ولذلك فان الرق لا يمثل تاريخ الأفريقيين بصفة عامة .

اننا نحاول أن نوضح معنى « تراثنا الأسود » وان نبين ما يقصد به لقوم خرجوا من ظلام الرق الى نور الحرية وبذلك عادوا ليشاركوا فى تكوين تاريخ العالم .

وخير تعريف للتراث أو التاريخ هو أن التراث شيء يكتسب أو ينقل عن الأسلاف ولكنا عندما نتحدث عن قومنا (السود) وجدنا تعريفا جديدا أفضل مما سبق .

قال « جود فاندر كوك » فى كتـــابه « توم توم » « الجنس أشبه بالانسان ، لا يمكن أن يؤدى دوره كاملا الا اذا استغل مواهبه واعتز بتاريخه » فالتراث فى جوهره هو كيف استفاد الناس من مواهبهم فى اكتساب احترام الآخرين ، وان الهدف الأقصى لتراثنا والالمام به انما هو أن نبين لقومنا كيف أنه من خـلال تمسكهم بذاتيتهم واحترامهم لانفسهم ، يمكنهم العمل على تحرير أنفسهم من قيود الاستعباد القـــديمة ، لأن ارتباط الشخص بتراثه هو كالصلة بين الطفل وأمه .



النظام الاقتصادى للتعمير

بقلم لويد بست (١)

سأقدم فيما يلى صورة كاريكاتورية تبين كيف نهض النظام الاقتصادى للتعمير فى الكاريبى (٢) وكيف فشل .

لنبدأ برحلة خيالية ولنتخيل أننا رجعنا الى القرن الخامس عشر وأننا فى مكان ما على الساحل الشمالى للمحيط الأطلنطى حيث يحيط بنا عالم صاخب وحضارة نشأت منذ العصور الوسطى وعلماء يتبادلون المعلومات القيمة ويعملون على احياء المعارف الكلاسيكية ، ويتناقشون بصراحة ووضوح ، مما اضطر الكنيسة أن

---

(١) لويد بست من أبناء جزيرة ترنداد وهو ثقة فى التقدم الاقتصادى لمنطقه الكاريبى ، تعلم فى جامعات الولايات المتحدة وهو مستشار دائم لاقتصاديات جزر الهند الغربية • عمل زميلا بمعهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية بجامعة جزر الهند الغربية بترنداد وهو الان يحاضر بها ، وهو مستشار اقتصادى للتعمير فى ترنداد وتوماجو وغينيا البريطانية ومستشار لبرامج الاسعار العالمية للطعام بهيئة الامم المتحدة • وقد شارك فى عدة دراسات بجامعة « ماكجيل » بكندا ومدرسة الدراسات العليا بجامعة باريس ، كما نشر عدة مقالات عن اقتصاديات البحر الكاريبى وهو منشىء ومحرر مجلة « العام الجديد » التى تصدر كل ثلاثة شهور •

(٢) البحر الذى يقع جنوب جزر الهند الغربية وشمال شرق أمريكا الوسطى « المترجم »

ترخى من تشددها ازاء تلك العقـــول المتطلعة للمعرفة والتى خطت خطوات واسعة فى الجغـــرافيا والهندسة واقامة حضارة تكنولوجية .

وها هم مختلف التجار يحررون أنفسهم من مضايقات النظام الاقطـــــاعى ويندفعون نحو التكنولوجيا التى ستزودهم بما يجعل تجارتهم أكثر ربحا ، فضلا عما توفر لديهم من خرائط ورسوم أكثر اتقانا وسفن أكبر وأسرع وأسلحة نارية أعظم فتكا .

وبعد مرور قرون كلهــــا فشل ، بدأ الأمل يتحقق وانحسر الاسلام (عن أسبانيا) واندمجت الاعتبارات الاخلاقية والتجارية والفنية ببعضها البعض عندما ولج القوم فى البحر ، انها الكشوف والحرب والتجارة مما دفع بالرواد للتزاحم حبا فى الثراء .

لندعو البابا ليحكم فى الصراع على الشرق والغـرب ولنتتبع ثروات الغرب ، وتبعا لقصص البحارة يوجد وراء الأفق جهة الغرب عدة جزر ، كجزر الأزور (التى تقع فى المحيط الاطلنطى غرب أسبانيا) ونخص بالذكر منها جزر الانتيل (مجموعة الجزر الواقعة بالبحـــر الكاريبى وأهمها كوبا وهايتى وجمايكا ... الخ (والجزر المفقودة التى كانت بها المدن السبع .

لقد كان لأحد البحارة وهو كولمبس مهمة خاصة ذلك أنه أراد ان يذهب الى الشرق عن طريق الغرب ، أن يذهب الى الهنــد ، فاذا لم يتيسر له ذلك فسيكتشف على الأقل أراضى جديدة .

ونبدأ الآن بافتراضنا الشكلى الأول وهو ذلك الجزء من التكوين التاريخى المسرحى لتلك الجهات فى اطـــار الاقتصاديات .

كانت توجد في البداية تلك الأراضي البعيدة العامرة بالخيرات بينما تقع وسط العالم مدن كبرى هي مراكز للمشروعات التجارية والهيئات الاقتصادية والتكنولوجيا والمال وكل الوسائل المطلوبة للانتاج والتجارة .

ثم كان هنــاك الشرق والغـــرب لاستغلالهما ، وفي استطاعة رءوس الأموال أن تتولى مهمة الحصول على الحاجيات التي يمكن أن تحقق التجارة فيها ربحا في تلك المدن الكبرى . ولا يهم كثيرا نوع تلك الحاجيات سواء أكانت معادن ، منتجات الغـــابات ، فراء أو منتجات زراعية كالســـكر والقطن والتبغ ، بل المهم أنه أمكن الحصول عليها .

وافتراضنا الثاني هو أن هدف التجـــارة مع تلك الأراضي الغنية هو الحصول على ربح تحصل عليه تلك المدن الكبرى .

والافتراض الثالث يتصل بالمدة التي يتحقق فيهـا الربح ، ذلك ان أي مشروع تجاري بين مدينة كبرى وبين منطقة بعيدة يحيط الغموض بطبيعتها يجب أن يستغرق زمنا طويلا وأن الربح يجب أن يكون مجزيا وعاجلا . والذي يستخلص من تلك الافتراضات الأساسية الثلاثة هو أن المبادرين الى تلك المشروعات لا يرون من الضروري أن تـكون لهم اقامة دائمــة في تلك الاراضي أو انشاء مستوطنات يستطيعون العيش بها .

والفرض الرابع يتعلق بالطريقة التي يمكن بها انشاء مثل تلك المستوطنة ذات الهدف الاقتصادي . ولتحقيق أكبر ربح في أقصر مدة فان النظام المثالي لذلك هـو اقامة مؤسسة أو منشأة كمزرعة مستكملة لكل ما تحتاجه، تتوفر فيهـا القوى العاملة المقيمة التي تضم ارقاء أو

بعض عمال بعقود لمدة معينة .

فاذا استطاعت تلك المستوطنة أن تكفي نفسها بنفسها من المواد الاستهلاكية والمعدات وكل الاحتياجات الأخرى ، فان مديرها وكبار موظفيها يمكنهم التقليل من تكاليف اعاشة العاملين (العبيد فى تلك الحالة) وتوجيه ما يتوفر الى زيادة الربح . وهذا بالطبع لا يتيسر تحقيقه الا فى المناطق غير المأهولة بالسكان أو فى المناطق التى تكون فيها القوة الحربية والمقاومة الثقافية من الضعف الشديد بحيث يمكن حشد السكان فى منشآت جماعية كالمزارع .

وهذا ينطبق تماما على ما كان عليه الحال فى بحر الكاريبى ، فجزر الأنتيل التى وجدها كولمبس أثبتت أنه لا توجد بها المدن الخلابة التى تخيلوها ولكن ما وجده كولمبس هو عدد قليل جدا من الهنود الحمر فى حالة فوضى نسبيا .

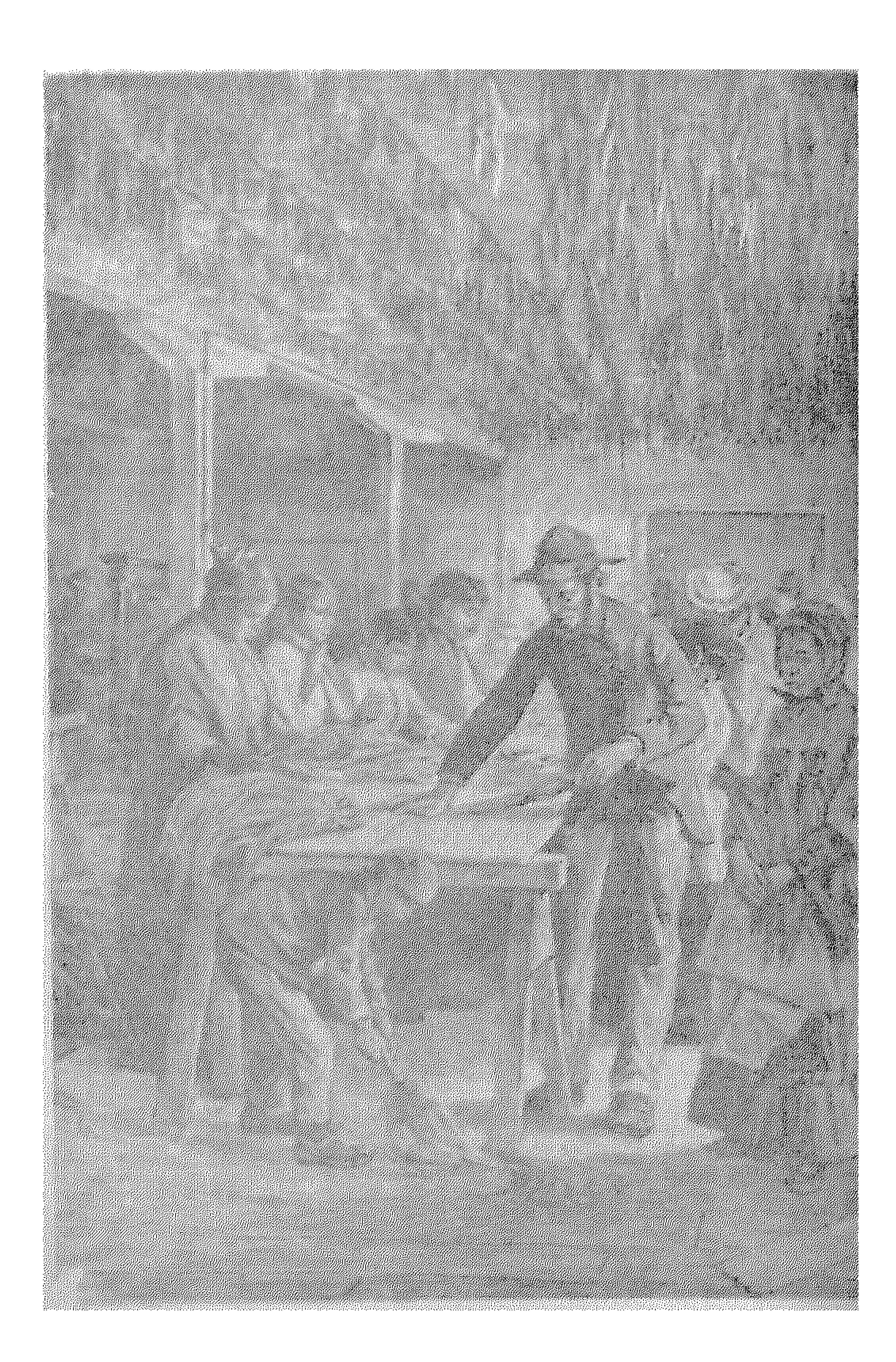
ولتحقيق التعمير هنا ، كان لابد من جلب اليد العاملة من الخارج حيث يمكن السيطرة عليها ومراقبتها لسببين : أولهما أنه لا توجد أية جذور ثقافية فى تلك الجهات وثانيهما أن تلك الأقاليم كانت جزرا ، مما يحول دون هروب عدد كبير من الأيادى العاملة . ولم يكن لتلك المزارع سوق للعمالة أو للسلع أو راس المال ، بل ان كل مزرعة كان اتصالها مع البيت التجارى أى الشركة الموجودة بالمدينة الكبرى التى يشرف عليها ويديرها ، ويقدم لها ما تحتاجه من أموال وقواعد الانتاج والخبرات الادارية والفنية لضمان استمرار الانتاج . وعندما بدأ الانتاج ، أخذ البيت التجارى فى تسلم ما يفيض ونظم طرق نقله ودبر أمربيعه . وعندما

توطدت العلاقات بين كل مزرعة أو مزارع وبين أصحابها الأصليين فى المدن الكبرى ، أصبح من الضرورى أن يكون اقتصاد تلك المنشآت مدعما من النواحى القانونية والسياسية بما يمكن مديرو المزارع من بسط السيطرة الاجتماعية والمعنوية على تلك المزارع ، ومن ثم كان لابد لتلك المزارع من نظام حكومى .

والافتراض الخامس يتصل بطبيعة الحكومة فى هذا النوع من المجتمعات أى المجتمع الذى يتكون أساسا من مزرعة . ان عمل الحكومة هنا هو المحافظة على القانون والنظام فى الحدود التى تضعها المزرعة ذلك لانها تزود بالأيدى العاملة والمعدات حسب حاجتها . وباعتبار المزرعة هى السلطة العليا فعليها واجب عسكرى أيضا . ولكن مهماتها المدنية واضحة ومعينة وفى اضيق الحدود . والعبء المدنى الواقع على حكومة المزرعة إنما هو تنظيم ملكية واستغلال الارض . وفى نظام المزارع لا يوجد للسكان العاملين أى حق فى تملك الارض ، ذلك لأن الأرض ملك للحكومة واستغلالها حق لها وحدها .

وقبل أن ندرس كيفية تطبيق مثل هذا النظام الاقتصادى فمن الضرورى أن نوضح دون لبس بعض الافتراضات الأخرى . فالاستقرار الداخلى لأية مزرعة وبالتالى المجتمع الذى تتكون منه يحتاج الى التقارب بين العبيد أو العمال ذوى العقود وبين السلوك المطلوب منهم .

واغلب أفراد القوة العاملة يكيفون أنفسهم حسب نظام المزرعة وهذا هو ما ينتظر منهم غالبا ، كما فى حالة الكاريبى اذ انهم يختارون أساسا من جهات اخرى وبذلك ينقطعون عن ثقافاتهم الأصلية دون أن تكون لديهم



فرصة للاندماج مع الثقافات الوطنيـــة بينما النواحى البيولوجية والاجتماعية والنظم الاقتصـــادية داخـــل المزرعة ومجتمعها من المرونة بحيث تسمح بالاتصـــال الاجتماعى بشرط الا يكون فى ذلك تهديد للنظـــام القائم .

والذى يحدث فعلا يتوقف على عدد من العوامل ، من بينها حدة الصراع الثقافى والأيدلوجى بين السكان العاملين والموظفين وتأثير القيود الاجتماعية ومدى ملاءمة الأرض للأعمال الحربية وهكذا . فاذا حدث تسيب فى القوى العاملة ، كما فى حالة فرجينيا فان ذلك سيؤدى الى انهيار النظام الأساسى .

وعلى أية حال فمن المحتمل أن روحا من الاستياء ضد السلوك المطلوب التزامه ستعم وتعبر عن نفسها بسلوك عكسى ، وحتى لو بقى النظام الموضوع ، فسيكون هناك توازن بين السلوك وسينفسح المجال للملتزمين بالعرف والعادة ولمن سيحاربون الخروج على تلك النظم بطريقة سرية . ومن ثم سيتوقف سلوك الرقيق العـادى على الوضع الذى سيجد نفسه فيه ، فالذين سيخرجون على النظام علنا فسيضرب على أيديهم بشدة وقـد يستطيع بعضهم الهرب فاذا نجحوا فستكون لدينا ظاهرة العبيد الآبقين (الفارين) .

وفى داخل المســتعمرات نفسها كانت متطلبـات المحافظة على النظام الاجتماعى تحول دون اى تغيير ، لأن الأوضاع القائمة كانت كفيلة بالمحافظة عليه .

وبذلك نصل الى الافتراضين السابع والثامن ، ذلك أن أذواق المستهلكين من العمال يجب أن تخضع لما يستورد ، كما أن نظم الانتاج يجب أن تظل ثابتة ، فحيثما

كانت الرغبة شـديدة فى الربح السريع ، بينما عملية الانتاج تعتمد على عمال مهرة فى الزراعة وتغذيتهم بأقل قدر من المؤن لتوفير وكسب أكبر قدر من المال ، فان المزرعة ستركز على عاملين للانتاج : الأرض ورأس المال الذى هو أساس ذلك العدد من العبيد الموجودين .

والخلاصة أن لدينا نظاما اقتصاديا يتكون من مجموعة من المزارع تنتج محصولا واحدا للتصـدير وأن هـذا النظام مرتبط بالدولة الكبرى اى انجلترا ، بالعـلاقة القائمة بين المشرفين على المزرعة وبين البيوت التجارية التى تملكها .

والآن لنرى كيف يسير اقتصاد المزارع . انه بطبيعة الحال اقتصاد تجارى فكل ما لا يستهلك بالمزرعة يصدر وكل ما تحتاجه المزرعة ولا تستطيع انتـاجه يستورد والعامل الحاسم فى ازدهار أية منشأة انما هو القواعد التى تتبعها التجـارة . ومن العبث أن نطوع عوامل الازدهار تبعا للمستوى الاقتصادى للمزارع ، اذ يجب أن نأخذ فى الاعتبار مصلحة أصحاب المزارع الاصليين وشركائهم ، كما أنه من العبث أيضا بالنسبة للمشرفين على الزراعة أن يكون انتاجهم قاصرا على الاسـتهلاك المحلى ، اذ فى هذا اغفال للدافع الحقيقى من انشاء المزارع ، كما أنه لن يثمر فائضا يرسل الى أصحاب المزارع لمواجهة المتطلبـات المالية المتزايدة فى مقـار أعمالهم .

فاذا تعقـدت الأمور بالنسبة للمشرفين على المزارع فانهم يتحـولون من زراعة محصول معين الى زراعه محصول آخر مطلوب للتصدير وكذلك يمكنهم انتـاج محاصيل استهلاكية اكثر لتحل مشكلة الاستيراد وأخيرا

فى استطاعتهم رفع كفــاءة الانتــاج لزيادة المحاصيل المصدرة .

فاذا ازدادت الحالة سوءا فان المشرفين على المزارع يستهلكون رأس المال ، ذلك لأنهم سيقترضون لاطعــام العبيد وغالبا ما تكون الوجبات أقل مما يقيم أودهم ، أو يقللون من المصروفات بتشغيل العبيد مددا أطول مع تقديم نفس الوجبات الناقصة .

ولكن تشغيل العبيد فوق طاقتهم وتقليل مقـــادير وجباتهم سيؤدى الى تأخير اصلاح الاوضاع والتقليل من هيبة القانون والنظام .

والاقتراض لاطعام العبيد قد يكون أمثل الحلول حتى لو تطلب الأمر رهن الايرادات المقبلة .

وأحد نتائج الأرباح الوفيرة من انتاج المزارع هو ظهور طبقة من الأثرياء ، سواء من اصحابها أم من مديرى المزارع والنتيجة الثانية هى انتقال ملكية المزارع بمــا عليها من أصحابها الى مديريها بالشراء ، لأن أصحابها يفضلون توفر المال لديهم لاستثماره فى مشاريع جديدة . ويبدأ مديرو المزارع أو أصحابها الجـــدد حياة ذات مستوى رفيع مما يضيف مبالغ جديدة الى المصروفات .

وقد تظهر عوامل محبطة منها اجهاد الارض الذى يزيد التكاليف ، لما تحتاج اليه من مخصبات ، كما أن الانتقال الى أرض بكر جديدة واعدادها ليس أمرا سهلا وخاصة على جزيرة .

لذلك كان لابد لزيادة الانتاج من استخدام عبيد اكثر عددا فى مساحة محددة من الارض الجيدة ، وزاد المشكلة تعقيدا صعوبة الحصول على العبيد لأن التوسع فيما

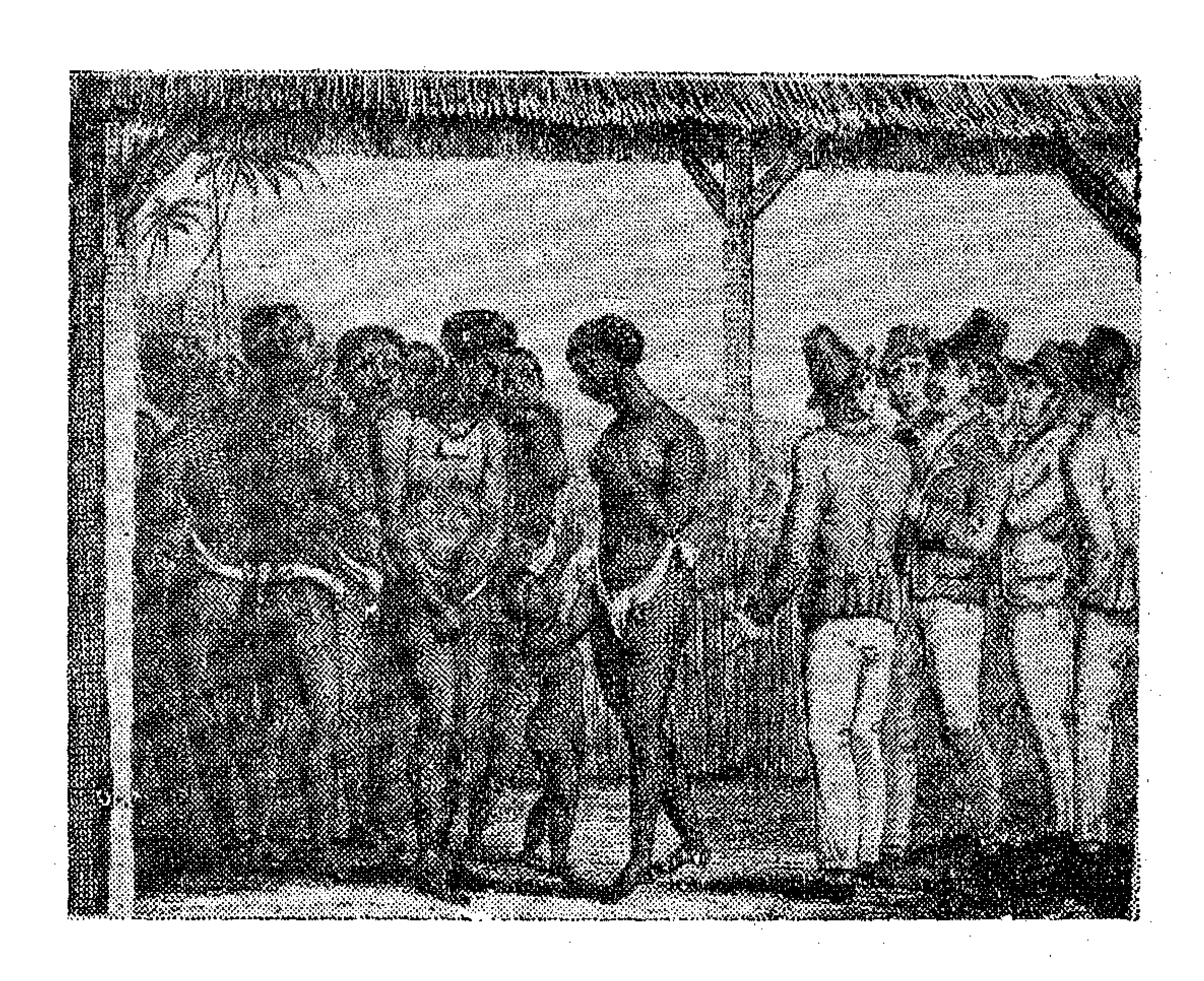
مضى رفع من اثمانهم مما يزيد فى التكاليف . وكان ظهور الطبقات الصناعية وازدياد الثروة فى الدول صاحبة المستعمرات عاملا على اضطراب المجتمع فى تلك الدول اكثر من ذى قبل وأصبح لا مفر من الحرب وكشوف جديدة ومزيد من التجارة .

ونتيجة لكل ذلك بدأت أسعار الصادرات تهبط بسبب وفرة المحاصيل فى العديد من المستعمرات وتسوء الحالة ويصبح البيع عسيرا والاقتراض صعبا ويبدأ أصحاب المزارع فى استهلاك رؤوس الأموال بطريقتين أولاهما بالاقتراض للمحافظة على مستوى معيشتهم وثانيتهما بانقاص المقادير المخصصة لتغذية العبيد وزيادة ساعات عملهم ، والكساد الاقتصادى يتبعه تقلقل اجتماعى وسياسى .

ولما كان اعطاء العبيد ارضا وفرصا للاشتراك فى ذلك النظام على قدم المساواة مع منحهم وقتا كافيا لانتاج طعامهم ، فيه اهدار للنظام القائم وتشجيع على الخروج عليه ، وحرمانهم من ذلك هو تحريض على العصيان والثورة ، هذا فى الوقت الذى يضاعف فيه الأقتراض من عدم الاستقرار ... كل ذلك يوقع المزارعين فى حرج ولا يجدون لهم معينا الا فى الدولة التي يتبعونها وحيث تحول الرغبة فى النهوض بالأحياء الفقيرة دون أمدادهم بما يحتاجون اليه من مال .

ومهما يكن من أمر فان العون المطلوب قد يكون بتنظيم البيع ولكنه يتعارض مع مصالح طبقة المشتغلين بالصناعة وقد يكون بالعمل على استقرار القانون والنظام ولكن هذا يضيف الى أعباء حكومة الدولة التابعة لها المستعمرة ويفرض عليها التدخل لاعادة الاستقرار والا انهار نظاع المزارع .

من ذلك يتضح ان النظام الاقتصادى الجامد للمزارع هو سبب ما حدث من اضطراب فى الكاريبى وأجزاء أخرى من القارة مما دفع الى تحويل المزارع أخيرا من زراعة قصب السكر الى استخراج البوكسيت (الحجر الذى يستخرج منه الألومنيوم) والبترول .



الرق فى المستعمرات الجنوبية

من ١٦١٩ - ١٧٦٧

بقلم ادجار تورين (١)

يعتبر عام ١٦١٩ أحد الأعوام الهامة فى تاريخ أمريكا ، وفى ذلك العـــام وصلت الى فرجينيا أول جماعة من النسـاء ، كما صدر تشريع يخولها الحكم الذاتى وفى نفس الوقت وفدت أول جماعة من الأفريقيين . وهذا العام يسبق عام ١٦٢٠ الذى جاءت فيه السفينة « ماى فلور » . وتاريخ قـــدوم الأفريقيين الى مســـتعمرة « جيمس تون » (٢) ورد فى خطاب كتبه « جون رولف » الى سير « أدوين سانديز » بلندن ، وهو أمين صندوق الشركة التى تولت ادارة مســـتعمرة جيمس تون وكان مقرها بلندن . وجـــــون رولف هذا هو الذى تزوج بوكاهونتاس (٣) وأدخل التبغ الى انجلترا .

---

(١) اشـــــتغل بالبحث وامتاز ، لا بمؤلفاته القيمة بل باهتمامه بحقوق وتاريخ الافرو امريكيين وهى تتناول تراث الامريكيين السود وأحدها يصف حياة ستة من السود فى عهد الثورة والاخر يبين ماساهم به السود فى الثقافة الامريكية ، وقد حصل على الدكتوراه فى تاريخ أمريكا عام ١٩٥٠ واشتغل بالتدريس فى جامعة الباما ثم فى جامعة اكرون وفرجينيا وقد حصل على درجة الزمالة من مؤسسة راندولف هيرست وغيرها .

(٢) تقع غربى ولاية نيويورك وشرقى بحيرة ايرى . « المترجم »

(٣) ابنة أحد زعماء الهنود الحمر فى فرجينيا وكانت تجامل الانجليز فيها وأنقذت حياة كابتن سميث المســـتعمر ثم تزوجت جون رولف وقدمت الى انجلترا ، وبعض الاسر فى فرجينيا من نسلها « المترجم »

فى هذا الخطاب ذكر أنه فى أغسطس عام ١٦١٩ وصلت الى « بوينت كومفرت » سفينة هولنـــدية عليها نحو عشرين زنجيا فاشتراها الحاكم بأحسن سعر ممكن .

لقد أكد الخطاب ان السود جاءوا الى جيمس تون فى عام ١٦١٩ ولكن السـؤال هو : كيف كان وضع هؤلاء الأفريقيين يومئذ . ان كثيرا من الناس يفترض خـطأ أنهم عوملوا كعبيد منذ البداية ولكن الظاهر أنهم اعتبروا كخدم بعقود . ولعل ذلك راجع الى أن الانجليز لم تكن لديهم الخبرة الكافية التى كانت لدى البرتغـــاليين والأسبان من حيث معاملة الرقيق ، ولذلك لم تكن لديهم قوانين موضوعة فعلا فى هذا الشأن للعمل بها فى العالم الجديد . فالرق قد انتهى فى انجلترا حوالى عام ١٠٠٠ وبذلك لم تعد هناك قوانين خاصة بالرق ، فكان على المستعمرين أن يدبروا أمورهم عن طريق التجربة والخطأ وهكذا بدأ نظام الرقيق يتطور تدريجيا ، ولمواجهـــة العمالة حاولوا الاســـتعانة بالهنـود الحمر وبأوربيين بعقود وسرعان ما وجدوا ان الهنود الحمر لا يصلحون للعمل لأنهم لم يعتادوا على العمل الشاق الـذى تتطلبه الزراعة ، لأن الرجل الهنـدى قد ترك العمل للمرأة وتفرغ للصيد والحرب .

وكان من الضرورى الاستمرار فى اسـتخدام البيض بعقود لعدة سنوات ، استمرت حتى عام ١٦٧١ حيث كان عدد البيض نحو ٦٠٠٠ فى فرجينيا والى جانبهم ٢٠٠٠ افريقى . وهكذا بدأ نظام العبيد تدريجيا يقوم كبديل للبيض ، لأن العبيد تعلموا الزراعة فى أفريقيا وكانوا أكثر انتاجا من غيرهم فيمـــا يتصل بالحقول والمزارع .

وفى عام ١٦٢٤ كان فى المستعمرة ٢٥ افريقيا ، بعضهم كان يعمل بعقد فلما انتهت مدة عقودهم أصبحوا أحرارا وملاك أراضى بل ويستخدمون عمالا بعقود فى أراضيهم .

ويظن البعض أن نظام الرقيق فى فرجينيا لم يظهر حتى صدرت القوانين الخاصة به ولكن الحقيقة أنه كان يوجد عرف وأحكام قضائية تبين أن بعض الافريقيين بدأوا يعتبرون عبيدا منذ عام ١٦٤٠ وأن بعضهم اعتبر ملكا لأبيض آخر مدى حياته واذا امتلك رجل رجلا آخر مدى الحياة فان الأخير يدخل فى دائرة العبيد .

وهناك اثنان من بين الأفريقيين الأوائل فى العالم الجديد لهما صلة بأول قضية وضعت أساس الرق فى فرجينيا وأحدهما هو « انتونى جونسون » الذى قدم على احدى السفن عام ١٦٢٢ وسلك طريقه كشخص حر بعد أن استوفى مدة عقده ، ثم بدأ بعدئذ يستخدم عمالا بعقود فى مستعمرة مع عمال سود آخرين فى فرجينيا . وفى نفس الوقت كان هناك عامل آخر يدعى « كاسور » يعمل بعقد لدى « انتونى جونسون » فلما انتهت مدة عقده احتفظ به جونسون ، فاشتكى « كاسور » لبعض البيض فى المستعمرة من احتفاظ جونسون به للعمل لديه بينما الواجب أن يطلق سراحه كما أطلق سراح جونسون نفسه ، وطلب كاسور الى البيض أن يستعملوا نفوذهم ضد جونسون ليتركه وانتهى الأمر بترك جونسون له .

ولكن البيض أخذوا « كاسور » كعامل لديهم وعندئذ قال جونسون : « اذا كان كاسور سيكون عاملا بعقد فيجب أن يعمل لدى » ، ولم يعبأ البيض بقوله

فالتجأ للمحكمة التى قضت بأن يعود « كاسور » الى « جونسون » وأن يعمل لديه طول حياته . وهذه أول قضية مدنية فى تاريخ فرجينيا يصدر فيهـــا حكم بالاسترقاق مدى الحياة . وقد حدث ذلك فى منتصف عام ١٦٥٠ .

وقبل ذلك كانت هناك قضية أمام محكمة الجنايات حوكم فيها اثنان من العمال البيض بعقود وزنجى بتهمة الفرار ، وبعد الامساك بهم ومثولهم أمام القاضى كان حكمه : « ان البيض يلزمون بالعمل لمدة أطول عقابا لهم على الفرار ، ولما كان الرجل الأسود لا يمـــكن الزامه بالعمل لمدة أطول لأنه بالفعل عامل مدى الحياة ويستحيل اضافة مدة أخرى له ، فعقابه الجلد » .

من ذلك يظهر انه لم تكن هناك قوانين صريحة للرق فى فرجينيا .

والآن لنلق نظرة على الاجراءات التى اتخذت لاصدار تشريعات لتوطيد نظام الرق فى فرجينيا . وأول هذه التشريعات صدر فى عام ١٦٦١ وهو يقضى بأنه اذا هرب رجل أبيض ، يعمل بعقد ، بصحبة أى زنوج فان هذا الأبيض يعاقب باضافة مدة أطول لفترة عمله . لأن هؤلاء الزنوج لا يمكن اضـــافة مدد لهم لأنهم يعملون مدى الحياة . وهذا التشريع يعتبر أول تشريع يشير الى وجود الرقيق الأسود فى فرجينيا .

وفى عام ١٦٦٢ صـــدر قانون آخر ، نص على أن الأطفال المولودين فى فرجينيا يتقرر مصـــيرهم حسب الوضع الاجتماعى لأمهاتهم ، بينما كان القانون فى انجلترا يقضى بتبعية الأبناء لوضع آبائهم . وبذلك فقد كان فى مقدور البيض أن ينجبوا من النساء السوداوات ولـكن

اطفالهم يعتبرون عبيدا وبذلك كان فى استطاعة البيض ان ينجبوا ممن لديهم من سوداوات لزيادة الأيدى العاملة .

وفى عام ١٦٦٧ صدر قانون حل مشكلة ما اذا كان اعتناق المسيحية يحرر العبد من الرق أم لا ، فقد قضى بأن المسيحية لا تغير من وضع الشخص من حيث الحرية أو الرق . وبذلك أصبح « السيد » يستطيع أن يبشر بالمسيحية بين من لديه من عبيد ، ومع ذلك يستطيع الاحتفاظ بهم كعبيد ولو اعتنقوا المسيحية .

وفى عام ١٦٧٠ صدر قانون آخر نص على أن جميع العمال غير المسيحيين المجلوبين الى فرجينيا بحرا يعتبرون عبيدا مدى الحياة وكان المجلوبون الى فرجينيا من غير المسيحيين هم سود من أفريقيا ونص القانون كذلك على ان العمال الذين يأتون برا يتحتم عليهم اذا كانوا أولادا وبناتا أن يعملوا حتى سن الثلاثين واذا كانوا رجالا أو نساء فيعملون اثنا عشر عاما فقط .

وكانت هناك خطوة أخرى لتجريد السود من آدميتهم فقد صدر فى عام ١٧٠٥ قانون ينص على أن كل الزنوج والمولدين والرقيق من الهنود الحمر سيعتبرون ضمن الممتلكات ، شأنهم شأن الماشية والأثاث والعربات والسلع .

وهذه القوانين توضح أن فرجينيا كانت تخطو سريعا نحو تثبيت نظام الرقيق ، وكان أحد العوامل الدافعة لذلك هو قلة العاملين بعقود، وقد قدمت أوربا عمالا بعقود للمستعمرات لا بطريق التطوع بل باختطاف الأشخاص من الشوارع ، فكان الوالدان يبعثان بطفلهما الى أحد

المحـــلات ثم لا يرونه ثانية لأنه اختطف وارسل الى المستعمرات .

وكان القضاة يخيرون المجرمين بين السجن أو الذهاب الى أمريكا (كان البعض يفضل السجن) . ولكن فى عام ١٦٧٠ صدرت فى انجلترا قوانين قللت من عمليـه الاختطاف للبيع كعمالة بعقود ، يضاف الى ذلك زيادة المبالغ التى كان يدفعها العبيد لتحرير أنفسهم ، وكذا المبالغ التى كانت تدفع للعمال عند انتهاء عقودهم وذلك لانخفاض عــدد من كانوا يعملون بعقود ممــا رفع من أجورهم .

لذلك بدأت المستعمرات تتجــه الى الأفريقيين فزاد عددهم فى القرن الثامن عشر فى فرجينيا حتى أصبح علم ١٧١٢ نحو ١٢٫٠٠٠ أسود و ١٨٫٠٠٠ أبيض وكان أغلب السود رقيقا وبهذا أصبحت فرجينيا تضم أكبر عدد من السكان السود . وفى عام ١٧٥٦ كان هناك ١٧٠٫٠٠٠ أبيض و ١٢٠٫٠٠٠ أسود ، أى أن الســـــود بلغوا ٤١ فى المائة من عدد السكان . والواقع ان فرجينيا كمستعمرة وكولاية ظلت أكبر المناطق من حيث عدد السود عشرات السنين . وقد أظهر تعداد سنة ١٨٦٠ أنه كان بفرجينيا من السود أكثر مما كان بأية مستعمرة أو ولاية ، فيما أصبح الولايات المتحدة الأمريكية . وظل الحال كذلك حتى عام ١٨٧٠ ، اذ ظهر من احصاء ذلك العام أن ولاية جورجيا أصبحت أكثر الولايات من حيث عدد السود .

وفى ولاية ميريلاند وجد الرق منذ بداية تكوينها عام ١٦٣٤ كدار هجرة للـكاثوليك ، يومئــذ اباح أصحاب الأملاك والمقيمين بها نظام الرقيق ، وقد ثبت أن السود الذين وصلوا اليها فى عام ١٦٣٠ كانوا معتبرين عبيدا .

والمستعمرات التالية التى سنتناولها هى «كارولينا» ونقول « كارولينا » لأن كارولينا الشـــمالية وكارولينا الجنوبية كانتا مستعمرة واحدة ، أعطى امتياز استغلالها لثمانية ملاك بقرار من ملك انجلترا عام ١٦٦٣ . وقـــد انتقل بعض الناس من فرجينيا الى ما يعرف الآن باسم « كارولينا » وذلك حوالى عام ١٦٥٤ . وكان أول المقيمين بها هم من أرسلوا وفق نصوص صك الامتياز عام ١٦٧٠ الى مدينة « تشـــارلزتون » أى ما أصـــبح كارولينا الجنوبية .

وقد اختير جـون لوك الفيلسوف الانجليزى الـكبير (١٦٢٣ – ١٧٠٤) من قبل الملاك ليعـــد دستورا للكارولينيين ، وفى هذا الدستور نص على أن الأفريقيين خاضعون للسيادة المطلقة لأسيادهم .

وقد عملت كارولينا الجنوبية على زيادة عدد العبيد بها وخاصة من الأفريقيين لعدة أسباب : أولها الاهتمام بزراعة الأرزالذى تطلب عددا أكبر من العبيد ، وثانيهما أن الملاك كانوا هم انفسهم مديرو الشركة الأفريقية الملكية التى كانت الشركة الانجليزية الرئيسية الرقيق وبذلك كان هؤلاء الملاك يتمتعون بميزتين فهم كملاك للمستعمرين يهمهم النهوض بها وكمديرين للشركة الأفريقية الملـكية كان يهمهم الاتجار بالعبيد . وعلى ذلك فقـــد ضمت المساحة التى أصبحت كارولينا الجنوبية ، عددا كبيرا من السكان ، اذ كانوا فى عام ١٧٦٣ نحو ٣٠٫٠٠٠ أبيض مقابل ٧٠٫٠٠٠ أسود أى ٧٠ فى المائة من السكان . وبذلك كانت هى المستعمرة الوحيدة التى يزيد فيهـا عدد السود عن البيض . وبدأ الخـــوف فى كارولينا الجنوبية من زيادة عدد السود ولذلك وضعت قـوانين

صارمة ، قوانين تمنع السود من احراز الأسلحة النارية ومن مقاومة سادتهم أو عصيانهم . وحتى تلك القوانين لم تمنع حدوث ثورة فى كارولينا الجنوبية وكانت أعنف ثورة فى الفترة الاستعمارية .

وقد قامت تلك الثورة عام ١٧٣٩ فى مزرعة (ستونو) على مقربة من تشارلز تون فى جنوب كارولينا ، وعرفت باسم « مؤامرة كاتو » ، اذ اقتحم بعض العبيد مخزنا للأسلحة والذخيرة واستولوا على ما فيه ثم انطلقوا نحو فلوريدا وكانوا يسطون على البيوت وينهبون ما فيها خلال مسيرتهم ، الأمر الذى استثار السكان جميعا فهبوا يقاومونهم وانتهى الأمر بهزيمة العبيد والقبض عليهم . وفى تلك الثورة قتل نحو ٣٠ من البيض و ٤٤ من السود .

أما فى كارولينا الشمالية الحالية فلم يتسع المجال لعدد كبير من العبيد لصغر المزارع ، اذ كانت مزارع تبغ صغيرة لا مزارع أرز كبيرة . ولم يكن السكان فيها على نفس القدر من الرخاء والثروة أو الارستقراطية . ولذلك كان فى كارولينا الشمالية أقل عدد من العبيد ، وقد بلغ عدد سكانها عام ١٦٧٠ نحو ٧٧٫٠٠٠ أبيض و ١٦٫٠٠٠ أسود أى بنسبة ١٧ فى المائة من السكان .

أما مستعمرة جورجيا فقد انشئت عام ١٧٣٣ كمأوى لنزلاء السجون الأوربيين بسبب الديون ، الذين اهتم بأمرهم جيمس أوجلثورب وملاكها الآخرين ، كما أختيرت لتكون مستعمرة تحمى كارولينا الجنوبية من غارات الهنود الحمر والأسبان فى فلوريدا .

ولتحقيق المساواة بين سكان جورجيا قرر أصحابها تحريم الملكية الفردية للأرض ومنع بيع المشروبات الروحية

تحريم الرقيق . وكانت تلك الممنوعات الثلاثة لا تتفق والاتجاه الامريكى يومئذ ، ولذلك فان المستعمرين هناك بدأوا يحتجون على تحريم الملكية الفردية وعلى تحريم الخمور والرقيق .

وكان أصحاب تلك المستعمرة يتوهمون أن السكان يمكنهم أن يشتغلوا بصنع الحرير والسلع التى تستورد خاماتها ولكن التجربة باءت بالفشل اذ أخذ سكان جورجيا يتحايلون على تحريم الرقيق باستئجار عبيد ممن يملكونهم فى كارولينا الجنوبية بعقود مدتها مائة سنة !

وفى عام ١٧٤٢ الغى تحريم الملكية الفردية وفى عام ١٧٤٩ ألغى حظر اقتناء العبيد وفى عام ١٧٥٠ انتهى الحظر على المسكرات ، وهكذا بدأ سكان جورجيا ينعمون بتلك المحظورات الثلاثة كسكان باقى المستعمرات .

وكانت تلك اذن هى بداية الرق فى المستعمرات الجنوبية .

الرق فى المستعمرات الشمالية

من ١٦٢٤ - ١٧٧٦

بقلم ادجار توين

يعتقد الناس خطأ أن الرق وجد فى الجنوب فقط ، والواقع أنه كان فى الشمال رق كذلك .

لناق نظرة على نيو انجلنـد (١) والمستعمرات التى تقع جنوبها وتطل على الاطلانطى ونرى كيف تطور الرقيق فى تلك المناطق وكيف ان اقتصاديات ذلك الاقليم وجغرافيته ومناخه أثرت فى ذلك التطور .

سنبدأ بالمستعمرات الأربع فى نيو انجلنـد وهى : ماساتشوستس ، نيو هامشير ، كونكتيكت ورود ايلند .

ان ما يعـــرف الآن باسم مين (٢) كان جزءا من ماساتشوستس حتى سنة ١٨٢٠ . وفى تلك الفترة الاستعمارية لم تكن فيرمونت مستعمرة منفصلة ، ولم تنفصل الا فى عام ١٧٧٧ ، وفى ذلك الوقت كانت تطالب بها كل من نيوهمشير ونيويورك ولهـذا لن نتناول الا

(١) نيو انجلند اسم لايستعمل اليوم وكان يطلق فى البداية على القسم الشمالى الشرقى وكان يشمل المستعمرات الاربع التى سبق ذكرها « المترجم »
(٢) تقع فى أقصى الشمال الشرقى للولايات المتحدة « المترجم »

المستعمرات الاربع : ماساتشوستس التى شملت : مين ، نيوهمشير التى شملت : فيرمونت ، كونكتيت ثم رود ايلند .

والرقيق فى مستعمرات نيو انجلند يرتبط من البداية بماساتشوستس ، ولو أن رود ايلند كان بها أكبر نسبة من السود طوال فترة الاستعمار . وكان فى ماساتشوستس عبيد أكثر ولو انهم لم يكونوا اكثر مما بالمستعمرات الأخرى .

أنشئت ماساتشوستس عام ١٦٢٠ عند قدوم « المهاجرين » أو « المنشقين على الكنيسة الانجليزية » الى بليموث على ظهر السفينة « ماى فلور « وقد جاء عدد أكبر من البيوريتان (١) (المتطهرون) الى اقليم خليج ماساتشوستس عام ١٦٣٠ . ومن ماساتشوستس أول مستعمرات نيو انجلند ، تكونت المستعمرات الأخرى .

ولا نعرف على وجه اليقين متى أحضرت أول جماعة من السود الى ماساتشوستس ولا متى بدأ وجود الافريقيين بها . وبعض المؤرخين يعتبر عام ١٦٣٨ بداية لذلك لأنه كان هناك بعض العبيد الأفريقيين ، ومن المحتمل انه كان هناك عبيد أفريقيون فى ماساتشوستس منذ عام ١٦٢٤ أو ١٦٢٥ لأن أحد المستعمرين المقيمين بها يومئذ كان يعرف عنه أنه تاجر ومالك للعبيد ولو أن السجلات غامضة بالنسبة لذلك الموضوع .

وقد ظهرت أمام أهالى ماساتشوستس مشكلة

---

(١) البيوريتان جماعة بروتستانتية نشأت فى انجلترا فى القرنين ١٦ ، ١٧ وطالبت بتبسيط طقوس العبادة وبالتمسك الصارم بالدين والاخلاق الفاضلة .

بالنسبة لامتلاك العبيد ، ذلك لأن رجال الدين البيوريتان بتزمتهم الدينى أثاروا الشك فى جواز امتلاك العبيد ولكن تلك المشكلة حسمت بتقرير أن الأفريقيين « كانوا » جنسا منحطا وملعونا ومحتقرا وأنهم يمكن الأخذ بأيديهم نحو المدنية بالاحتفاظ بهم كعبيد وتعريفهم بثمار الثقافة الغربية .

ولكن ذلك الحل الذى اعتبره البعض منطقيا لم يجد استجابة لدى بعض آهالى ماساتشوستس ، « فجون ونثروب »(١) عارضه بحجة أن مستعمرة خليج ماساتشوستس لا يمكن أن تزدهر كباقى المستعمرات دون قيام العبيد بالعمل لتوفير المال للمستعمرين المقيمين بها . وبذلك دفعت الرغبة فى المال الى ايجاد الرقيق فى ذلك الاقليم . وقد اضطرت الظروف الجوية وبرد الشتاء القارص والتربة الصخرية نوعا ، الا فى بعض اماكن قليلة مثل وادى نهر كونكتيكت ، اضطرت المستعمرين لاستغلال مساحات صغيرة . ولذلك كانوا كلما نزحوا الى مواطن جديدة ، نقلوا معهم فى نفس الوقت مدنا بأكملها وكانت المزارع الصغيرة حول المدن الصغيرة لا تحتاج الى عبيد للعمل بها بقدر ما كانت تحتاجه المزارع الكبيرة فى الجنوب ولذلك كان العبيد فى ماساتشوستس يستخدمون فى أحواض السفن وكخدم بالبيوت واستخدام البعض فى الزراعة ولكن عدد هؤلاء كان قليلا ولذلك لم يتخذ الرق مظهرا صارخا ، لا لأن الأهالى كانوا مؤمنين بالانسانية . متصفين بالشهامة أو لديهم مثل عليا تجاه الرق ، ولكن الأن الحاجة

---

(١) كان ونثروب (١٦٤٩) حاكما لمستعمرة ماساتشوستس وكان لايؤمن بالديموقراطية بحجة أنها لم يرد لها ذكر بالتوراة « المترجم » .

الاقتصادية الى العبيد لم تكن بالقدر الذى كانت عليه فى المناطق الأخرى . ومن ثم كان فى ماساتشوستس عام ١٧٥٥ نحو ١٩٥٫٠٠٠ من البيض و ٤٨٠٠ من السود ، أى ٢ فى المائة من السكان بينما كانت أقل نسبة للسود فى الجنوب هى ١٧ فى المائة وذلك فى كارولينا الشمالية .

أما كونيكتيكت فقد أصبحت مستعمرة عندما انتقل اليها بعض سكان خليج ماساتشوستس وأقاموا فى وادى نهر كونيكتيكت ، حيث كانت التربة خصبة جدا . وعلى الرغم مما قام بينهم وبين الهولنديين من مناوشات فقد أقاموا مدنا عديدة منذ عام ١٦٣٥ كمدينة وندسور ، هارتفورد ، وذرزفيلد ونيوهافن . وقد وجد أبناء كونيكتيكت أنه يمكن الافادة من العبيد فى الأعمال الزراعية ولذلك كان لديهم منهم نسبة أكبر مما كان فى ماساتشوستس بالقياس الى مساحة مستعمرتهم فكان لديهم ١٢٨٫٠٠٠ من البيض و ٣٦٠٠ من السود أى بنسبة ٣ فى المائة من السكان .

وفى منطقة نيو انجلند كانت المستعمرة التى بها نسبة كبرى من الافريقيين هى رود أيلند التى أنشأها وانتقل اليها جماعة ممن لم يقبلوا تسلط البيوريتان فى ماساتشوستس ، الذى وصل الى حد التدخل فى المسائل الحكومية والعلاقات مع الهنود . وكان من هؤلاء « روجر وليمز » (١) الذى طرد من المستعمرة وانتقل الى رود أيلند عام ١٦٣٦ وكذا « آن هتشنسون » (٢)

(١) قس كان ينادى بفصل الدين عن الدولة وعدم تدخل القسس فى السياسة والمسائل العامة « المترجم »

(٢) دعت للخلاص من الخطيئة عن طريق البداهة الشخصية أو «الحدسية» التي تقول بأن القيم والواجبات الاخلاقية يمكن ادراكها بالبداهة « المترجم »

التى طردت أيضا لأنها أصرت على التفسير الشخصى أو الذاتى للتوراة ، ايمانا منها بأنها بهذا تكون علاقتها أكثر اتصالا بالله عما تكون عليه عن طريق رجال الدين البيوريتان .

لهذا ترك الكثيرون خليج ماسوتشوستس باعتبارهم منشقين وأقاموا فى أماكن اخرى مثل نيوبورت (١) وبرفيدنس (٢) وأقليم خليج ناراجانست . وأقام آخرون فى رود ايلند أمثال « روجر وليمز » الذى امتاز بفهمه العميق للديمقراطية وبأمانته . ويعتبر من الأمريكيين الأوائل النبلاء فيما يختص بموقفه الانسانى تجاه الهنود . اذ كان يؤمن بأنهم يجب أن يعاملوا بدون تحيز وأن يعتبروا اخوة . ومع ذلك فان هذا الرجل وهو المؤسس الأول لرود ايلند سمح بالرق فى تلك المستعمرة . وسرعان ما أصبح فى رود ايلند نسبة مئوية من العبيد اكبر مما فى مستعمرات نيو انجلند الأخرى .

ويرجع هذا أساسا لرود ايلند التى أقبلت بشدة على تجارة العبيد فكانت السفن تقلع من موانيها كنيو بورت متجهة الى الساحل الافريقى حيث تشحن بالعبيد ثم تحملهم الى جزر الهند الغربية للبيع ومن الأخيرة تحمل ثمن ماباعته مضافا اليه ما تشتريه من السكر والعسل الأسود اللذين كانا يستعملان فى صناعة الروم . وهذا الروم كان يشحن الى أفريقيا لأنه كان احدى المواد التى يقدمونها لرؤساء القبائل الأفريقية مقابل العبيد .

ولكن سفن العبيد كانت تعود من جزر الهند الغربية وعليها بعض العبيد ممن لم يتيسر بيعهم ولذلك كانوا

(١) ميناء فى رود أيلند
(٢) مدينة فى رود أيلند وهى حاضرتها « المترجم »

يتركون فى رود ايلند وبالتدريج كبر عددهم وأصبح فى رود ايلند عام ١٧٥٥ نحو ٤٥٠٠ عبد ، بينما كان عدد البيض ٣٦٠٠٠ وهذا يعادل ١٢ فى المائة وتلك نسبة تجاوزت اية نسبة أخرى فى نيو انجلند .

أما نيو هامشير فكانت نسبة السود فيها قليلة نسبيا وذلك لقلة الموانى الصالحة لاستمرار تجارة الرقيق ولذلك كان عمل العبيد بها هو صيد الأسماك كما ساعدت شدة البرد وفقر التربة على التقليل من الحاجة للعبيد . لهذا كان عدد العبيد ضئيلا ، لا لاعتبارات انسانية ولكن لعدم أهميتهم بالنسبة للنظام الاقتصادى . وبذلك كان فى نيو هامشير عام ١٧٦٧ نحو ٥٢٠٠٠ بيضا مقابل ٦٣٣ سودا أى بنسبة ١ فى المائة من السكان .

وفي اقليم نيو انجلند كان الرق فى اكثر أوضاعه اعتدالا وانصافا اذ كان العبيد يعاملون معاملة أفضل منها فى اى اقليم آخر وكان أمام العبيد فرص أوسع للتوفيق الى أسياد رحماء ، قد يكفلون لهم بعض التعليم أحيانا . وكانت هناك فرص أوسع أمام السود الأحرار المقيمين هنا أن يصيبوا بعض النجاح فى حياتهم . ورغم كل هذا فقد كانت هناك بعض المؤامرات والثورات فى نيو انجلند كما فى الأجزاء الأخرى لهذا الاقليم . ففى كونكتيكت كانت هناك مؤامرة فى منتصف ١٦٥٠ فى «هارتفورد» وفى ماساتشوستس كانت هناك مؤامرات فى « نيو برى » عام ١٦٩٠ وفى « تشارلزتون » عام ١٧٤٠ .

والآن لنتناول الرقيق فى المستعمرات الوسطى المطلة على الاطلانطى : فىنيويورك وبنسلفانيا ونيو جرسى . ولنبدأ بايضاح الكيان الخاص « لديلاور » فهى جغرافيا يجب أن تكون احدى المستعمرات الوسطى اما من

الناحية السياسية فقد تبعتها لأن « بنسلفانيا » كانت تديرها حتى أوائل القرن الثامن عشر ، ومع ذلك فان « ديلاور » كانت جنوبية من حيث المناخ والطبيعة اذ كان اقتصادها يعتمد على التبغ ولذلك كان بها عام ١٧٩٠ نحو ٤٦٫٠٠٠ بيضا ونحو ١٢٫٨٠٠ سودا اى بنسبة ٢٢ فى المائة من السكان .

ولنلق نظرة على نيويورك حيث حدثت أمور طريفة ، لقد كان الهولنديون أول من اقام بها وذلك عام ١٦٢٤ ، ويومئذ أنشأت شركة الهند الغربية الهولندية مستوطنة فى جزيرة مانهاتن (١) التى عرفت بعدئذ باسم امستردام الجديدة واطلق على كل تلك المستعمرة اسم « هولندة الجديدة » . وخلال فترة الحكم الهولندى جرت تجربة طريفة فيما يختص باستخدام العبيد اذ انشأ الهولنديون نظاما عرف باسم « نصف الحرية » وتبعا لذلك النظام كان السيد أو المالك للعبد يطلق سراحه ليكسب عيشه وفى مقابل ذلك كان يدفع مبلغا معينا كل عام لسيده حسب عقد يبرم بينهما ، فاذا لم ينفذ العبد هذا الاتفاق عاد الى وضعه القديم كعبد .

وقد بدأت الشركة الهولندية بهذا النظام لوجود عدد كبير من العبيد تابعين لها مما كان يكلفها مبالغ أرادت توفيرها . ولذلك وجدت أن من الأفضل اطلاق سراحهم ، بينما هم مرتبطون بها حسب نظام « نصف الحرية » المشار اليه وملزمون بأن يدفعوا لها مبلغا مقابل تمكينهم من كسب عيشهم ودفع أجر السكن وثمن الملابس والطعام .

(١) وتتكون منها أهم أجزاء مدينة نيويورك « المترجم »

وكان سر نجاح ذلك النظام العملى هــو أن الشركة جنت أرباحا أكثر بفضله ، ذلك لأن أى رجل لديه فرصة ليكسب شيئا لنفسه ، ولو كان قليلا ، فسيعمل بجهد أكبر ممن يعمل لسيده فقط . اذ المشكلة فى نظام الرق هو عدم وجود حافز حقيقى للعمل لدى الرقيق . ولذلك نجح ذلك النظام نجاحا فريدا وقلمـــا حرم عبد من « نصف حريته » وعاد للرق ، لأن العبد تمتع بحريته فى عمل ما يشاء ولذلك كان يجاهد فى سبيل الوفاء بما تعاقد عليه .

ولم يستمر هذا النظام ، لسوء الحظ ، بسبب انتزاع الانجليز لنيويورك (أى هولندة الجديدة) من الهولنديين عام ١٦٦٤ ، عنــدما أرسل الملك شــارل الثــانى حملة على رأسها أخيه ، دوق يورك ، الذى أصبح فيما بعد الملك جيمس الثانى . وأصبحت هولندة الجديدة تسمى نيويورك .

وفى عهد الانجليز تغير نظام الرقيق تغيرا كبيرا ، فبعد أن كان الهولنديون يعاملون العبيد معاملة طيبة ، ذلك انهم وان كانوا عبيدا ، الا أنه لم يكن هناك ما يذكر العبد بأنه أقل منزلة أو انسانية . لقد تغير كل ذلك فقد أصبح نظــام الرق فى عهــدهم صارما ، والسر فى ذلك أن دوق يورك ومن عمــلوا معـــه فى ادارة تلك المستعمرة ، كانوا جميعا شركاء ومديرين فى الشركة الأفريقية الملــكية ، ولذلك فقد كان من مصلحتهم أن يتشددوا فى نظام الرق ، كما هو الحال مع مديرى الشركة الأفريقية الملــكية الذين امتلكوا جنوب كارولينا . ولذلك سرعان ما أصبحت نيويورك المستعمرة الشمالية التي بها أكبر عدد من العبيد .

وباكثار الشركة الافريقية الملكية من الرقيق ظهرت في نيويورك المخاطر التى سبق ظهورها فى كارولينا ، اذ قام الرقيق بأعمال ثورية ففى عام ١٧١٢ قامت ثورة ، اذ تجمع بعض العبيد وهم مسلحون بالأسلحة والذخيرة، فى الغابات القريبة من مدينة نيويورك وهناك اشعلوا النار فى أحد المبانى . ولما جاء البيض للبحث عن سبب الحريق واطفائه جرى قتال انتهى باستسلام السود ثم محاكمتهم وشنقهم ومعهم عدد من السود الأبرياء بسبب ما ثار من ذعر واضطراب .

وقد اصبح فى نيويورك عام ١٧٥٦ نحو ٨٣٫٠٠٠ من البيض ، ١٣٫٥٠٠ من السود أى بنسبة ١٦ فى المائة وهذا كان أكبر عدد من العبيد فى أية مستعمرة فى الشمال .

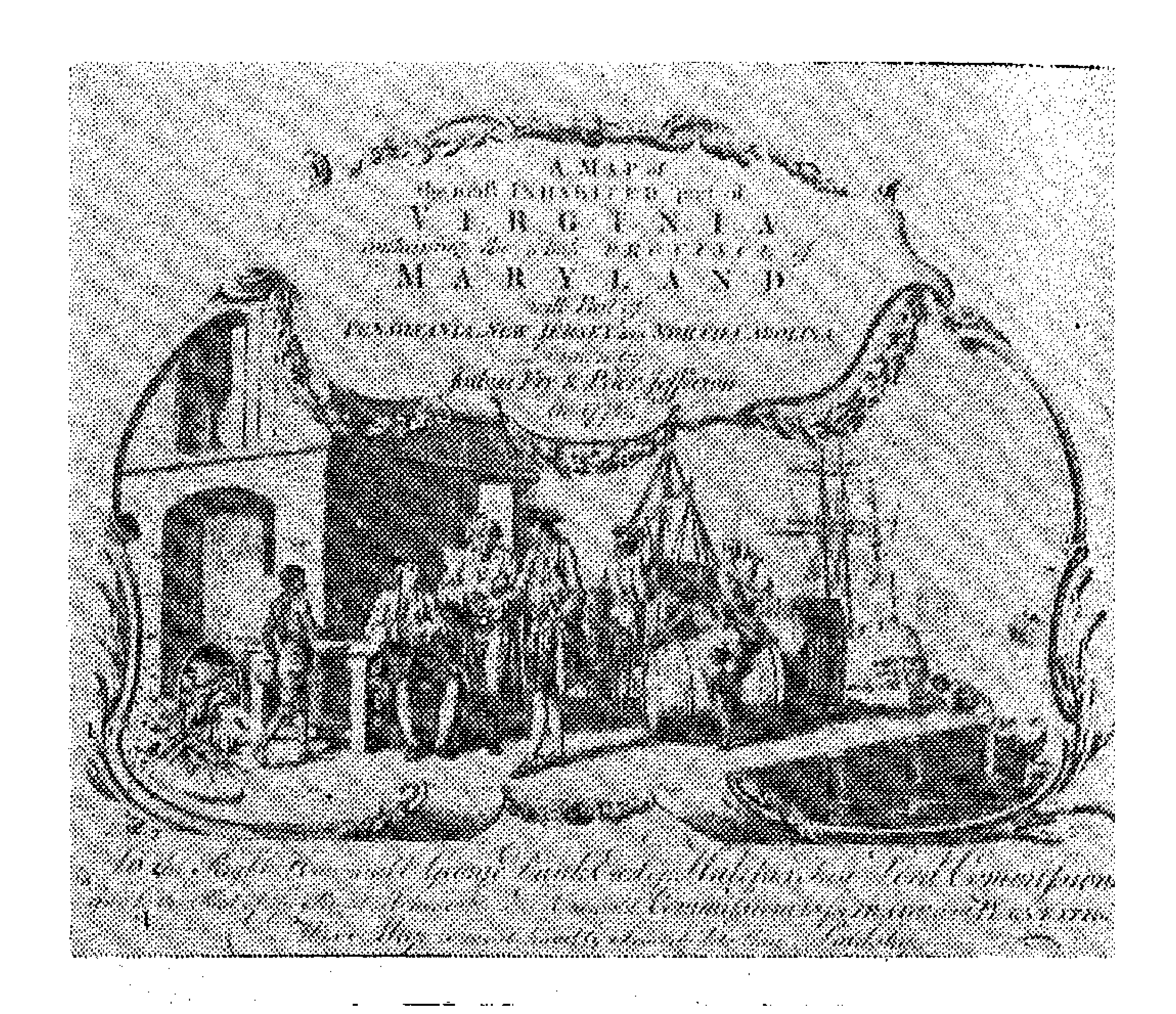
وكان فى « نيو جرزى » عدد كبير من السود ، بلغوا عام ١٧٤٥ نحو ٤٫٧٠٠ مقابل ٥٧٫٠٠٠ من البيض اى بنسبة ٨ فى المائة ولكنها جلبت فى عام ١٧٥٠ عبيدا كثيرين وبذلك زاد عددهم فيها .

وأخيرا كانت هناك بنسلفانيا ، التى أقامها وليم بن ، أحد رجال الكويكرز (١) ، الذى أيد نظام الرقيق رغم تمسكه الشديد بالمبادىء الدينية ونزعته الانسانية ، زعما منه بأن العبيد أفضل ممن يعملون بعقود لأنهم مستعبدون طول حياتهم ولذا أدخل نظام الرق فى مستعمرته .

ولكن بنسلفانيا أصبحت المستعمرة التى بدأ فيها أول

(١) الكويكرز : جماعة الاصحاب أو المهتزين ، تكونت خلال القرن السابع عشر وقد اشتهر أعضاءها بكراهيتهم للحرب .

احتجاج على الرق . وفى عام ١٧٩٠ كان فيها ٤٢٤٫٠٠٠ من البيض و ١٠٫٠٠٠ من السود أى بنسبة اثنين فى المائة وبذلك كان بها أقل نسبة من العبيد ، دون باقي المستعمرات الشمالية الكبرى .



لماذا لم تُلغ الولايات المتحدة الرق؟

بقلم ستاوتون لويد (١)

لماذا لم تلغ الولايات المتحدة الرق ؟ لقد الغته فى عامى ١٨٦٣ و ١٨٦٥ . ولكن لماذا لم تلغه عام ١٧٧٦ عندما أعلنت استقلالها ؟ أو عندما اجتمع المؤتمر الدستورى فى فيلادلفيا لوضع دستور الولايات المتحدة ؟

لماذا لم تلغ الولايات المتحدة الرق عند قيام ثورتها عندما كان بها نحو ٥٠٠٫٠٠٠ عبد ، بينما كان بها اربعة ملايين من العبيد عندما قامت الحرب الأهلية ؟

ولماذا لم تلغ الولايات المتحدة الرق عندما قرر اعلان استقلالها بأن كل الناس يولدون أحرارا ؟

عندما قال ابراهام لنكولن فى خطابه بمناسبة اعادة انتخابه رئيسا إن الحرب الأهلية ستستمر حتى يدفع مقابل كل قطرة دم نزفت بسبب الكرباج قطرة أخرى تنزف بالسيف ، يومئذ كان يتكلم بحكمة أكثر مما

(١) امتاز كمدرس للتاريخ وخاصة فترة الاستعمار ثم الثورة الامريكية وقد حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة ١٩٦٢ وقاد مسيرة الاحتجاج على حرب فيتنام وله عدة مؤلفات عن الرق وتجارته .

يتصور . لقد كان هناك نصف مليون عبد في سنة ١٧٧٦، بينما قتل فى الحرب الأهلية أكثر من نصف مليون ، قبل أن يلغى الرق . اكان ذلك ضروريا ؟ لماذا انتظرت الدوله الجديده ثلاثة أرباع قرن حتى تلغى الرق ؟ وليس هذا ببساطة سؤالا أكاديميا ولكنه من الأسئلة التى تحتاج الاجابة عليهـا الى الادراك والبـديهة . وهو ككثير من المشكلات المتصلة بالتاريخ الأفرو أمريكى ، فيه اختلاف كبير فى الرأى بين دارسيه من البيض أو السود .

لنقارن بين ما انتهى اليه عالمان فاضلان اولهما ابيض والثانى اسود ، فالبروفسور ونثروب جـوردان وهو مؤرخ من البيض المعـروفين نشر اخيرا دراسـة قيمة عنوانها « الابيض فوق الأسود » وهى تتناول الاوضاع العنصرية فى الولايات المتحدة منـذ انشاء المستعمرات حتى حرب عام ١٨١٢ (١) ولنقتبس من دراسته ، فيما يتصـل بالمؤتمر الدستورى عام ١٧٨٧ قوله : « من الواضح ان المؤتمر لم يأخذ فى الاعتبار القضاء نهائيا على الرقيق فى الولايات المتحدة ، لأن أحدا لم يفكر بطبيعة الحال فى احتمال رد فعل ثورى » . ويقول عن التباين بين فلسفة الحقوق الطبيعية فى اعلان الاستقلال وبين الفلسفة الواقعية فى الدستور : « خلال السنوات التى أعقبت انتهاء الثورة الأمريكية ، وجد الأمريكيون أن فلسفة الحقـوق الطبيعية لا يمكن أن تـكون الركن الأساسى الذى يسلم بفشل الثورة الامريكية فى القيام بعمل شيء بصـدد الرق ، سأقتبس من العلامة الأسود « دى بوا » ، ما ورد فى رسالته للدكتوراة ، عن الغـاء

(١) المقصود الحرب الثانية التى قامت بين انجلترا والولايات المتحدة بعد استقلالها وانتهت أواخر عام ١٨١٤ وفيها أحرق الانجليز الكابيتول والبيت الابيض بمدينة واشنطن .

تجارة الرقيق الأفريقى ، فهو بعكس اعتراف بروفسور جوردان الصريح بعجز الثورة الأمريكية عن اتخاذ اجراء حاسم فى هذا الأمر ، نجده يستعمل عبارات مثل : « كانت هناك حاجة الى جهود جبارة » . و « كان هناك قدر من اللامبالاة الأخلاقية » ، رغبـــة فى مسـايرة الظروف . وفيمـا يلى كيف لخص دى بوا أفـكاره عن الموضوع ، يقول :

« يجب أن نواجه حقيقة أن هذه المشكلة نشأت أساسا نتيجة جشع واهمال اسلافنا . لقد كان أظهر واجبات المستعمرات هو أن تسحق هذه التجارة ونظامها منـذ بدايتهـا . انهم آثروا أن يجمعوا المـال لأنفسهم من أرباحها .

لقد كان من واجب ثورة قامت على أساس الحرية أن تتخذ خطوات الغاء الرق لكنها فضلت الوعود على الاجراء الصريح .

لقد كان من واجب المؤتمر الدستورى عند تكوين أمة جديدة أن يضع حلا وسطا ازاء تهديد خطر اجتماعى ، اللهم الا اذا كانت تسويته أو حسمه سترجأ الى فرصة مناسبة قادمة . ذلك أنه لم تكن هناك فى تاريخ أمريكا فترة كان فيها تبرير الرق اقتصاديا وسياسيا واخلاقيا، أمرا يسيرا مثلما فى علم ١٧٨٧ . ومع ذلك فبالرغم من وجود الرق الفعلى وأضراره المتزايدة تحت أنظارهم ، بالرغم من كل ذلك فان صفقة جلهـا دولارات وسنتات أفسحت الطريق الى الحرب الأهلية » .

وانى أتفق ازاء هذا الخلاف العلمى فى الرأى ، مع دكتور دى بوا دون الدكتور جوردان . وأظن أن الرق

كان يمكن الفاؤه أثناء الثورة الأمريكية ، وهناك تعليلات تقليدية أو اعتذارات لفشل الآباء المؤسسين لأمريكا فى اتخاذ أى اجراء نحو الرق .

والتعليل الأول هو أن الرق لم يكن يعتبر يومئذ مشكلة ، أى أنه لم يبق مشكلة بالنسبة للسكان حتى القرن التاسع عشر .

والحجة الثانية تكاد تكون عكس ذلك ، وهى تذهب الى أن الآباء المؤسسين أدركوا ان الرق مشكلة ولكنهم اعتقدوا أنه فى طريق طبيعى للزوال ، وسيهوى من ثقله ويموت حتف أنفه ، ولذلك فلا ضرورة لخطوات سياسية أو تشريعية ازاءه .

ولندرس كل من هاتين الحجتين وأولادهما ان الرق لم يؤخذ على أنه مشكلة . ويمكننا أن نبين مغالطة هذا الفرض بالقول بأنه فى الأماكن الاخرى من العالم المتمدن يومئذ ، كانت الأمم تتخذ اجراءات نحو الغاء الرق . ففى انجلترا مثلا ، وقبل الثورة الامريكية ، أثار من يدعى جرانفيل شارب قضية عارض فيها نظام الرق ، وهى تعرف باسم « قضية سمرست » . وسمرست هذا رجل ادعى استرقاقه تاجر من الهند الغربية يقيم فى بريطانيا . وعرض شارب القضية على المحكمة وقال كموكل عن سمرست أنه عندما ينزل أى مخلوق بشرى بسواحل بريطانيا فانه يصبح حرا . وان هواء انجلترا ، كما قرر فى مذكرته القانونية ، به من الحرية ما لا يسمح بوجود أى رقيق ، وقد أيدت المحكمة دفاع شارب وأعلن

ان الرق امر غير قانوني فى بريطانيا العظمى (١) (ولو أنه لم يكن كذلك فى الأمبراطورية البريطانية) .

وبعد قيـــام الثورة الفرنسية بقليل ، قامت فرنسا باخماد ثورة العبيد التى قادها توسان الفاتح (٢) فى هايتى عام ١٧٦٠ ولكنها لم تلبث ، أى فرنسا ، فى حماسة الثورة الفرنسية أن ألغت الرق فى جميع أرجاء الأمبراطورية ، وهذا الاجراء ، ولو ان نابليون سار على نقيضه ، بين أن الرق كان مشكلة بالنسبة للفرنسيين كما كان بالنسبة للانجليز أيام الثورة الأمريكية .

ومثال ثالث لاتخاذ اجراء ضد الرق وقد حـدث قبل الحرب الأهلية الأمريكية بمدة وهو أن المكسيك ودولا أخرى فى أمريكا اللاتينية ، اسـتقلت عن أســبانيا عام ١٨٢٠ وكان أول اجراءاتهم الغاء الرق .

ومن ثم فلدينا حجة قوية ضد القول بأن الرق ما كان ليعتبر مشكلة أمام الأمريكان الثائرين ، فاذا كانت دول كثيرة رأته مشكلة يومئذ فلماذا لم تره الولايات المتحـدة كذلك ؟

والسبب الثانى للاعتقاد بأن الرق اعتبر كمشكلة وكان يمكن الغاؤه أثناء الثورة الأمريكية ، هو أنه ولو أن الأمة الجديدة فشلت فى أن تقف موقفــا حاسما ضد الرق ، الا أنه اتخـذت خطوات كافية لتوضح بجـلاء ان الرق يعتبر مشكلة . وهذه الخطوات ثلاث :

---

(١) المقصود الجزر البريطانية التى تضم انجلترا وويلز واسكتلندا وقد بدأ استعمال هذه التسمية فى عهد جيمس الاول (١٥٦٦ ـ ١٦٢٥) للتمييز بينها وبين مقاطعة بريطانى الفرنسية .

(٢) بطل زنجى حرر سان دومنجو من الحكم الفرنسى عام ١٧٩١ ثم أسر ومات فى فرنسا .

الأولى : أن الولايات الشمالية ، اثناء وبعد الثورة ، عملت من خلال تشريع الولاية ، على الاتجاه نحو الغاء الرق ، كمـــا فى دســتور فرمونت عام ١٧٧٧ ، وفى ماساتشوستس فى سلسلة من القضايا القـــانونية فى اوائل عام ١٧٨٠ وفى بنسلفانيا وورود ايلند وكونكتيكت ونيويورك ونيوجرسى من خـــلال قوانين صدرت فى ١٧٨٠ ، ١٧٨٤ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٤ .

ومن واقع تحرك تلك الولايات الشمالية ضد الرق ، خلال تلك الفترة ، يتبين أن الأمة كلها كان يمكنها أن تقوم بذلك .

الثانية : كان هناك اجراء ضد تجارة الرقيق باعتبارها تختلف عن الرق . ففى عام ١٧٧٤ كتب المؤتمر الدستورى الأول فى احد قراراته : « نحن لن نستورد أو نشترى أى عبد استورد بعد اليوم الأول من ديسمبر التالى ، فبعد ذلك التاريخ سنبطل تجارة الرقيق ولن نشترك فيها بأنفسنا ولن نؤجر سفننا أو نبيع سلعنا او مصنوعاتنا لمن يقومون بها » . وهذا بالطبع لم يستمر ولم ينفذ ، ففى نهايه الثورة الأمريكية استانفت الولايات فى أقصى الجنوب ، وخاصة كارولينا الجنوبية وجورجيا ، استيراد العبيـــد . وبقيت الحقيقـــة ماثلة وهى أن المؤتمر الدستورى بما قرره ، انما دل على أن الرق كان مشكلة فى ذلك الوقت .

وأخيرا ولنوضح أن الرق كان يعتبر مشكلة ، نقول ان بعض الولايات المتحدة كفرجينيا عام ١٧٨٢ ، ديلاور عام ١٧٨٧ ، ماريلاند عام ١٧٩٠ وكنتكى عـــام ١٧٩٨ وتنيسى عام ١٨٠١ ، هـــذه الولايات أصدرت قـــوانين لتسهيل العتق الفردى وهذا بعكس القوانين فى الولايات

الشـــمالية ، التى جعلت فى امكان الأفراد الذين يملكون عبيدا ، أن يعتقوهم اذا شاءوا . وكان من نتائج هذا التشريع أن السود المحرريين فى فرجينيا زاد عددهم من ۳۰۰۰ عام ۱۷۸۰ الى ۳۰٫۰۰۰ عام ۱۸۱۰ ، ولكن صدر فى فرجينيا عام ۱۸۰٦ قانون قلب أوضاع التشريع السابق الذى يبيح العتق وجعل من العسير على الملاك الأفراد أن يحرروا عبيدهم .

ومن هذه الشواهد : موقف الولايات الشمالية تجاه الالغاء ، والخطوات الأولى نحو الغاء تجارة الرقيق ، تشريع الولايات المتحدة بشأن العتق الفردى ، من هــذا كله يتضح كيف كان ينظر الى مشكلة الرق بجدية ولكن ــ كما قال المؤرخ فون هولتز ــ « كان لابد من حافز أكبر » لالغاء تلك المشكلة .

والاعتــذار التقليدى الثانى لتراخى الآباء المؤسسين هو أنهم ظنوا أن الرق سيزول تلقائيا .

وللدفاع عن ذلك توجد ثلاثة اعتبارات :

أولا : ان الرق ألغى فى الولايات الشمالية لأنه عملية غير مربحة .

ثانيا : أنه أصبح كذلك غير مربح فى الولايات الوسطى لزراعة القمح بدلا من التبغ ، والقمح لا يحتاج فى زرعه الى رقيق مثلما يحتاج التبغ ، وأول من بدأ ذلك التحول ، من التبغ الى القمح ، هو جورج واشنطن فى مزرعته بمونت فرنون .

ثالثا : أن الرق كان يمكن أن يكون غير مربح كذلك فى الولايات الجنوبية لولا اختراع آلة الحليج فى أوائل عام ۱۷۹۰ وهو الأمر الذى لم يكن يدور بخلد الأسلاف

فى عامى ۱۷۷٦ أو ۱۷۸۷ .

وأظن ان تلك الحجة باطلة فالقول بأن الرق ألغى فى الشمال لأنه كان غير مربح يدحضه ما جمعه دكتور زيلقر سميث من بيانات اثبتت أن أسعار الرقيق ظلت مرتفعة حتى ألغى ذلك النظام .

أما القــول بأن الرق أصبح غير مربح فى الولايات الوسطى بدعوى ادخال زراعة القمح فيها فليس صحيحا لأنه ولو أن الرقيق أصبحوا فيها لا يعملون فى الانتاج الا أن تجار الرقيق فى فرجينيا وميريلاند كان باستطاعتهم بيع الرقيق الى أصحاب المزارع فى الجنوب .

لذلك عارض مندوبو الولايات الجنوبية ومنـــدوبو فرجينيا ومريلاند فى البند الخاص بالغــاء الرق فى الولايات الغربية وذلك فى القـــانون الذى اقترحه جفرسون عام ۱۷۸٤ . كما أن جورج ماسون ابلغ المؤتمر الذى عقد عام ۱۷۸۷ لوضع دستور الولايات المتحدة ، ابلغه أن اذا لم يلغ الرق فورا فان الولايات الجديدة فى الغرب ستطالب بدورها بحقها فى استخدام الرقيق ، وبذلك تتسع وتنشط تجارته .

وأخيرا فان القول بأن تجارة الرقيق كان يمكن أن تتلاشى من الولايات الجنـــوبية لولا اختراع آلة حلج القطن ، قول غير صحيح لأنه عند عقد المؤتمر الدستورى، لتعديل مواد الاتحاد بين الولايات عام ۱۷۸۷ ، أظهرت ولايتا كارولينا الجنوبية وفرجينيا تمسكهما ببقاء تجارة الرقيق . كما أن اختراع آلة حلج القطن زاد فى الاقبال على تلك التجارة .

والخلاصة أن عدم اتخاذ الأسلاف خطوات ايجــابية

لالغاء تجارة الرقيق ، مع بغضهم لها ، يرجع الى انهم خطوا بعض خطوات كالغاء الرق فى الولايات الشمالية كبداية لالغاء الرق نهائيا ، وهم يدركون أن عليهم اتخاذ خطوات أخرى ضرورية اذا أريد الغاء نظام تجـــارة الرقيق ، ولكنهم لم يخطوا تلك الخطوات .

فلماذا اذن فشل من وضعوا ووقعـــوا وثيقة اعلان استقلال الولايات المتحدة فى القيام بأى اجراء فى هذا الصدد ؟

هناك ثلاثة أسباب :

أولا : خوف هؤلاء على الملكية الخاصة والرقيق نوع منها . والمطلع على مناقشات المؤتمر الدستورى يتضح له أن من بين الأسباب التى منعت رجلا مثل « الحاكم موريس » أحد المنتقدين لنظام الرقيق من الموافقة ، اعتقاده أن تحريم ملكية الرقيق فى الجنوب قد يدعو الى تبرير تحريم تملك أشياء أخرى فى الولايات الشـــمالية ولذلك تردد معارضو نظام الرقيق فى الغائه حتى لا تتسع دائرة التحريم .

ثانيا : التحيز للبيض ، فرجل مثــــــل توماس جفرسون (١) ، أدرك ما فى الرق من أضرار وجاهد ليقوم بشىء ضد الرق فى مراحل مختلفة من حياته ، نجده رغم كل ذلك لا يستطيع أن يتصور انه فى الامكان أن يعيش البيض الأحرار والسود الأحرار كمواطنين على قدم المساواة . ويتجلى هذا التحيز فيما كتبه عن فرجينيا عام ١٧٨٠ وفيها ناقش الخصائص البيولوجية للسود ، قال :

(١) أحد قواد الثورة الامريكية وكان رئيسا للولايات المتحدة من ١٨٠١ ـ ١٨٠٧ .

ان التحيز ضد السود أمر متأصل فى نفوس البيض، كما أن عشرات الآلاف من ذكريات ضروب الظلم والاذى الذى تحمله السود وكذا الفروق التى أوجدتها الطبيعة، وعوامل أخــــرى ، كل ذلك سيقسمنا الى قســمين وستتسبب عنه اضطرابات لا يتوقع أن تنتهى الابفناء أحد الجنسين .

يضاف الى ذلك عوامل أخرى جسمانية ومعنــوية وأول اختلاف يستلفت أنظارنا بين الجنسين هو اللون ، وهو ليس بالأمر الهين أليس هو أساس وجود قدر كبير أو قليل من الجمال فى الجنسين ؟ أليس امتزاج الأحمر والأبيض والتعبير عن كل انفعال بما يظهر على الوجه من احمرار لدى البيض ، أليس هذا بأفضــــل من ذلك الجمود الدائم الذى يبــدو على وجوه السود وذلك القناع الأسود الذى يخفى كل انفعالاتهم ؟ هذا فضلا عن الشعر المتهدل والتناسق الرائع فى القوام .

ان الجمال الفائق يلفت النظر الى الخيل والــكلاب وغيرها من الحيوانات الأليفة ، فلماذا لا يكون فى الانسان أيضا ؟ وبمقارنة الســـود بالبيض من حيث الذاكرة والتفكير والخيال نجد أن السود يتســاوون مع البيض فى التذكر وهم أقل من حيث التفكير اما عن الخيــال فهم أغبياء ، عديمو الذوق ، مصابون بالشذوذ .

واذا كانت الأقــدار قــد حتمت وجوب تمتع السود بالحرية فانها قد قررت أن السود والبيض لا يمكن أن يتعايشا وكان العجز عن ادراك الحقيقة الأخيرة هو ما منع الأسلاف المؤسسين من اتخاذ اى اجراء .

وسبب ثالث وأخير يضاف الى حب التملك والتحيز

وهو السلبية وعدم الاستشراف العملى لحل تلك المشكلة وتناولها بكل برود ، وهو على نقيض الوازع الدينى الذى سيطر على المطالبين بالغـــاء الرقيق فى القرن التاسع عشر .

وفى دراسته عن الرقيق فى فرجينيا قارن روبرت ماكوللى بين الطرق التى تناول بها هذه المشكلة كل من الأسلاف المؤسسين وساسة الثورة الأمريكيةوالكويكرز(۱) Quakers ثم المتعصبين من رجال الدين أمثال جون وولمان ، قال ماكوللى :

« ان فكرة تحرير العبيـــد لم تنشأ لدى الطبقـــة الارستقراطية المستنيرة ولا من النظـــريات البارعة للجمهوريين ولا من الحماس الدافق نحو الحرية ، بل صدرت عن الطـــوائف الدينية المنشقة وخاصة طائفة الكويكرز والميثوديون (۲) .

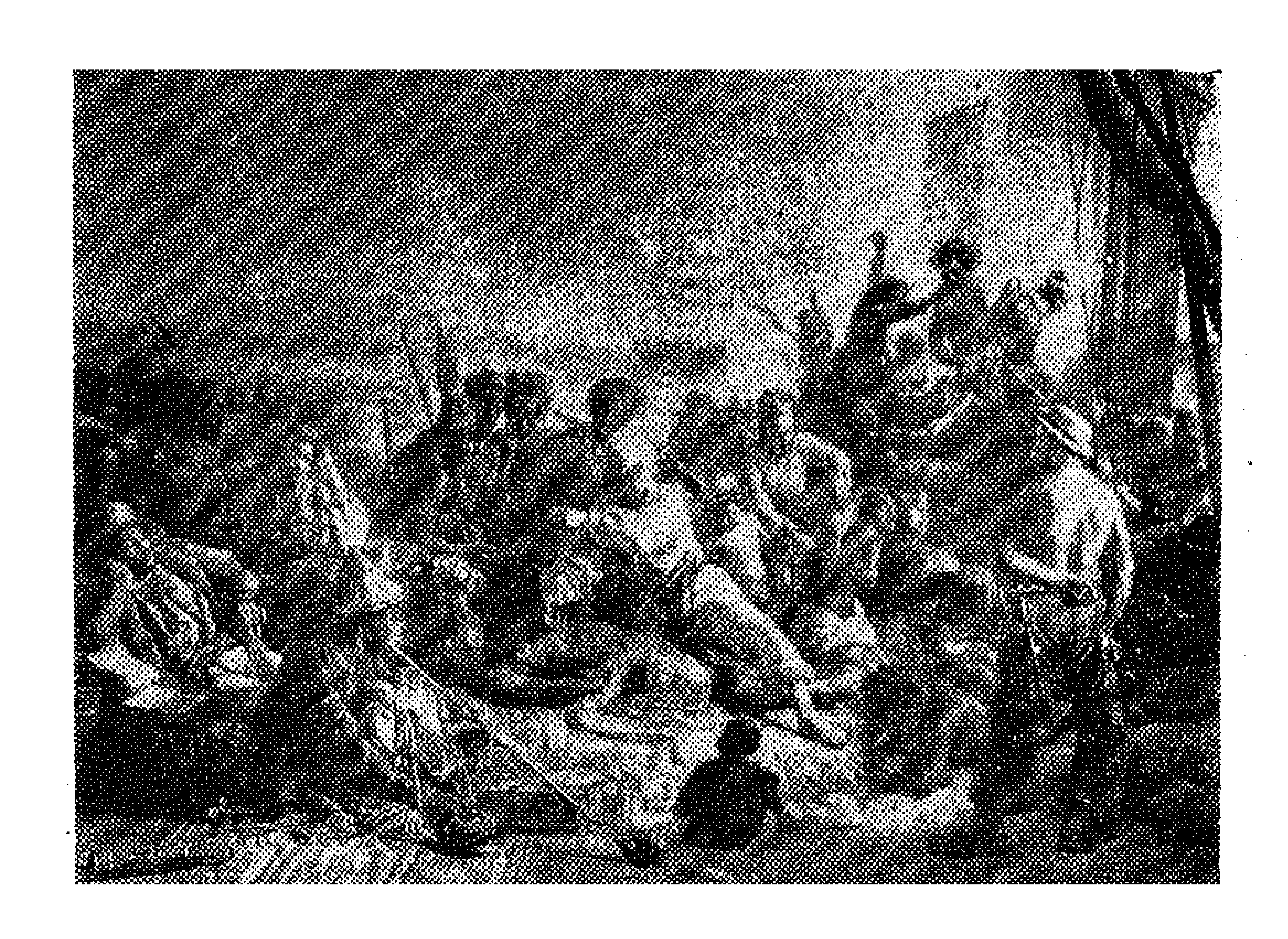
ويفسر ماكوللى هذا الخلاف البين بين سلوك الأسلاف المؤسسين وبين الكويكرز ودعاة الألغاء من رجال الدين بأن الكويكرز كانوا يؤمنون بامكان الالغاء عن طريق الوازع الأخلاقى بينما تمسك رجال السياسة بمبادىء رجعية لا يمكن للانسان أن يغيرها ، اذ اعتقـــدوا ان الزنوج بطبيعتهم أعداء للبيض وأنهم أقل ذكاء من البيض ، بينما آمن الكريكرز بأن الزنوج قابلون للتعليم ولذا كانوا يقومون بتعليمهم فى الأماكن التى كانوا يجتمعون بها .

---

(۱) الكويكرز طائفة دينية أنشاها جورج فوكس الانجليزى عام ۱٦٥۰ ويسمون « الاصحاب » ومن عقائدهم الاهتزاز والارتجاف عند ذكر اسم الله

(۲) طائفة دينية نشأت فى انجلترا عام ۱۷۲۹ ويسمون أيضا المنهجيون .

وذهب رجال السياسة الى أن التحرير يجب أن يصحبه اجلاء فورى للزنوج خشية قيام علاقات جنسية بينهم وبين البيض وظهور طوائف من الملونين . ورد الكويكرز على ذلك بأن التحرير له الأسبقية على كل اعتبار آخر ، ولهذا الخلاف فى الرأى لم تلغ الولايات المتحدة الرقيق عندما استقلت .



مقررات الشمال الغربى (١) والمؤتمر الدستورى

بقلم ستوتون ليند

فى مايو عام ١٧٨٧ أنشئت فى انجلترا جمعية تطالب بالغاء الرق وذلك فى نفس الوقت الذى اجتمع فيه « المؤتمر الدستورى » (٢) بفلادلفيا فى يوليو ١٧٨٧ ، وقرر مادة « الثلاثة أخماس » (٣) التى جعلت العبيد ٦٠ فى المائة من البشر ، وذلك من حيث التمثيل السياسى ، ولكنهم من الناحية الاقتصادية استمروا معتبرين « أشياء » كالأمتعة الخاصة .

وفى نفس اليوم وعلى بعد تسعين ميلا وفى مدينة نيويورك عقد مؤتمر آخر للحكومة الائتلافية فيها وأصدر « قانون الشمال الغربى » الذى حرر تجارة الرقيق

---

(١) المقصود الشمال الغربى للولايات الثلاث عشرة التى تكونت منها الولايات المتحدة فى بادىء الامر « المترجم »

(٢) هو المؤتمر الذى عقد فى فيلادلفيا عام ١٧٨٧ لوضع دستور للولايات المتحدة لان نظام الحكم فيها منذ اعلان استقلالها عام ١٧٧٦ كان قائما على أساس « قانون الائتلاف بين الولايات المتحدة » وقد واجه الكونجرس ، الذى كان يضم ممثلين للولايات المؤتلفة ، مشاكل جديدة بسبب اختلاف وجهات النظر بين الولايات وقد تم وضع ذلك الدستور عام ١٨٨٧ « المترجم .

(٣) أي من حيث الانتخاب للكونجرس وستوضح فيما بعد .

مســتقبلا فى ولايات وسكنسن وميشجن . والللينوس واندیانا وأوهيو .

فما هو اذن معنى التوافق الزمنى ؟ وكيف نفسر تأييد الدستور للرق بينما قانون الشمال الغــربى يعمل على الغائه ؟ وما هو دور دستور الولايات المتحدة ازاء ذلك الرجل الأفرو أمريكى ؟ وأخيرا ما هو دستور الولايات المتحدة ؟ من وضعه ، ولمن ولأى هدف وضع ؟

ولفهم المشكلات التى واجهت مؤتمر الحكومة الائتلافية بنيويورك والمؤتمر الدستورى عام ١٧٨٧ والكيفية التى عالجا بها هذه المشــكلات بطريق التسوية بين الدستور وبين « قانون الشــمال الغربى » ، لفهم ذلك يجب أن نضع موضع الاعتبار الموقع الجغرافى للأمة الجديدة كما كان يبدو عام ١٧٨٠ .

لقد كان نهر المسيسبى هو الحد الغربى للأمة الجديدة، كما نصت عليه المعاهدة مع انجلترا عام ١٧٨٣ ، بينما الحد الجنوبى ينتهى فى شمال فلوريدا . وهذه المساحة لم يكن اغلبها قد تحول الى ولايات بالمعنى المفهوم اذ ظلت أجزاء منها مقاطعات متمسكة باستقلالها .

والى الشرق من جبال ابلاشيان تقع الثلاث عشرة ولاية التى تكونت منها النواة الأولى للولايات المتحدة ، وثمان منها فى الشمال وهى : ماساتشوستس ، رود أيلند ، كنتيكت ، نيوهامشير ، نيويورك ، نيو جــرسى ، بنسلفانيا ثم دلوير ، التى ألغت أو اتجهت نحو الغــاء الرقيق فى عام ١٧٨٧ . أما الولايات التى تمســكت بالرقيق فهى جورجيا ، سوث كارولينا ، نورث كارولينا ،

فرجينيا ثم ميريلاند وقد اعتبرها المؤتمر الدستوري ولايات جنوبية .

وبين جبال الأبلاش ونهر المسيسيبي توجد مساحات واسعة اعتبرت جزءا من الولايات المتحدة عام ١٧٨٧ ، ولكنها كانت من الوجهة السياسية معتبرة كأقاليم لم تتحول بعد الى ولايات . وهذه المساحات الواقعة شمال وجنوب نهر أوهيو ، قسمت الى خمس ولايات شمال النهر وهي ويسكنس ، مشجن ، الينوى ، انديانا ثم أوهيو ، وتقرر أن تكون ولايات الرق ممنوع فيها ، أما الولايات التي تقع جنوب نهر أوهيو فقد اعتبرت ولايات يباح فيها الرق .

والآن لنلخص مواد دستور الولايات المتحدة فيما يتصل بنظام الرق : ان المادة ١ ، البند الثاني ، المسماة « مادة الثلاثة الأخماس » زادت من التمثيل السياسي للجنوب فى مجلس النواب باضافة ثلاثة أخماس السكان الزنوج الى السكان البيض لتحديد عدد النواب عن كل ولاية بالكونجرس . ومادة « الثلاثة الاخماس هذه اعتبرت الزنجي كثلاثة أخماس الانسان الأمريكي الأبيض ! واذن فبينما اتسع التمثيل السياسي للبيض السادة ، ظل السود في عبودية اقتصادية . ومادة « الثلاثة الأخماس » هذه هى أول وأهم تسوية تتصل بالرقيق فى المؤتمر الدستورى .

وقد خولت المادة ١ ، القسم الثامن ، حكومة الولايات المتحدة أن تعاون الولايات المختلفة على اخماد أى عصيان مسلح من قبل العبيد فى أى مكان ، كما ان المادة ١ ، البند التاسع ، خولت للكونجرس ، اذا شاء ، بعد عشرين عاما اي ليس قبل ١٨٠٧ أن ينظر فى الغاء تجارة الرقيق

وليس فى نظام الرقيق نفسه ، وهذا الامر قد حدث فعلا عام ١٨٠٧ .

واخيرا نصت المادة ٤ البند الثاني وهى الخاصة بالعبيد الهاربين على ان الولايات الشمالية ملزمة باعادة العبيد لسادتهم فى الولايات الجنوبية .

وهذه البنود كان لهـــا أكبر الأثر فى زيادة وتقوية وحماية نظام الرقيق ، فلماذا صدرت ؟

لقـــد ناقشنا بعض الأسباب التى دعت الى فشل الولايات المتحدة فى الغاء الرقيق ابان الثورة ، ولكن لماذا قام المؤتمر الدستورى المنعقـد فى فيلادلفيا عام ١٧٨٧ بالتسوية التى أشرنا اليها ، وكيف نفسر تدعيم ذلك المؤتمر لنظام الرق بينما مؤتمر المستعمرات المنعقد على مسافة تسعين ميلا بنيويورك يخطو خطوة ضد الرق فى الولايات الخمس التى تكون منها الشمال الغربى يومئذ .

وللاجابة على ذلك اكد المؤرخون أن أهم أعمال المؤتمر الدستورى حتى عام ١٩٠٠ كانت هى تسوية الخلاف بين الشمال والجنوب ما يتصل بالرقيق . وقد كان الاعتقاد أن مشكلة الصراع بين الشمال والجنـوب بشأن الرقيق كانت فى مؤتمر المســـتعمرات مسألة ثانوية وان اغفال الاشارة الصريحة الى نظام الرقيق فى الدستور ، كان من نتائجه اهمال أمر الرجل الأسود فى السياسة العـامة للولايات المتحدة خلال تلك المدة ، التى منح فيها حق الاقتراع اى الانتخاب فى الولايات المتحدة .

وجدير بالذكر أنه عند عقد المؤتمر الدستورى وردت

---

(١) يسمى المؤتمر القارى أو مؤتمر المستعمرات التى تشكلت منها بعض ولايات الولايات المتحدة .

سمه رق ورقيق فى المناقشات كثيرا وأن مندوبا ولاية كارولينا الشمالية وجورجيا بصفة خاصة ، كانا يقفان على أقدامهما قائلين انهما لا يمكن أن يتخليا عن حق تملك الرقيق وجرت المناقشات صريحة نحو التساؤل عما اذا كان نظام الرق نظاما شرعيا أم غير شرعى ، وهل يجب الغاؤه أم الابقاء عليه ؟ وكان الصراع حول هذه المسائل شديدا بين الولايات الخمس الجنوبية والولايات الثمان الشمالية لأن نظام الرقيق كان سائدا فى الجنوب وليس فى الشمال ، وكما أعلن جيمس ماديسون (١) فى المؤتمر « أن نظام الرقيق وما ينتج عنه هو جوهر الخلاف بين الفريقين وأنه من الواجب تسوية ذلك الخلاف » .

والواقع أن ذلك الخلاف يرجع الى ما قبل المؤتمر الدستورى عام ١٧٨٧ عندما قال باترك هنرى (٢) فى مؤتمر المستعمرات الأول عام ١٧٧٤ ، « نحن جميعا أمريكيون » وذلك عندما تعرض المؤتمر لتمثيل الرقيق كأعضاء فى الكونجرس . فلما انتهت الثورة الأمريكية عام ١٨٧٣ كتب توماس جفرسون (٣) ، الذى لا يمكن وصفه بالتعصب ، كتب الى حاكم فرجينيا يذكر ان خلافا قد احتدم فى الكونجرس بشأن ضم الولايات الشمالية والولايات الجنوبية الى الولايات الثلاث عشرة الأصلية : أيها يضم أولا ؟ ذلك الأن كلا من الاقليمين بدأ يدرك أهمية الادلاء بأصواته .

وعند انتهاء الحرب عام ١٧٨٢ ، بعثت الولايات

(١) رابع رؤساء الولايات المتحدة (١٧٥١ - ١٨٣٦)

(٢) سياسى أمريكي وخطيب وقائد من قواد الثورة وكان من أبرز أعضاء مؤتمر المستعمرات سنة ١٧٧٤ وهو من أبناء ولاية فرجينيا « المترجم » .

(٣) ثالث رؤساء الولايات المتحدة (١٧٤٣ - ١٨٢٦) .

المتحدة الى باريس بمندوبيها لتوقيع اتفاقية السلام ، وكان هؤلاء هم جون آدمز وبنجامين فرانكلين وجون جاى . وقد وجه الجنوبيون الأنظار الى أن هؤلاء المندوبين من الشماليين الذين لا يمكن الاطمئنان الى تمثيلهم لمصالح الجنوبيين ولذلك عين جفرسون سفيرا بفرنسا ليكون للجنوبيين ممثلا فى أوربا .

والواقع أن النزاع الاقليمى بشأن الرقيق لم يكن نزاعا جديدا بل نزاع تناوله مؤتمر المستعمرات منذ بدأ عام ١٧٧٤ .

والآن ، مع التسليم بأن الصراع الاقليمى كان شديدا ، وكان الجنوبيون اقلية من حيث عدد الولايات التى تمسكت بنظام الرقيق ومن حيث عدد السكان ، فلماذا وافقوا على دستور الولايات المتحدة ؟ وعلى السلطات التى منحت للحكومة المركزية ؟ وهل تجاهل ماديسون وواشنطن المصالح الاقليمية الخاصة للجنوبيين أم كانت لديهما فكرة عن المستقبل جعلتهما يجاملان الجنوبيين والشماليين ؟

لقد برر ماديسون ذلك الموقف بقوله أنه رأى أنه اذا أريد من الجنوب أن يعمل على تقوية دعائم الكونجرس فان مشروع اعطاء صوت واحد لكل ولاية جنوبية يجب تغييره لصالح الجنوب . وأن أساس تمثيل الجنوب يجب أن يكون عدد السكان فى مجلس النواب . ولم يكن ذلك ليضير الولايات الشمالية لكثرة عدد سكانها وما كان ليضير الولايات الجنوبية لتوقعها زيادة عدد سكانها ومن ثم يمكن الجنوبيين أن يؤيدوا الحكومة المركزية أملا فى زيادة نفوذهم مستقبلا .

وأصبح المتفق عليه لدى أعضاء المؤتمر الدستورى أنه

عندما يزداد عدد سكان الجنوب والغرب ، الأمر المتوقع بعد سنوات قلائل ، فان الجنوب سيعوض عما استأثر به الشمال من امتيازات فى نفس الوقت .

وقد عارض أحدهم ذلك الاتجاه بقوله « انه لمن قصر النظر الا نتنبأ بأنه عندما تصبح الولايات الجنوبية أكثر سكانا من الولايات الشمالية فانها سترغمها على الرضوخ لمطالبها . واذا هددت بالانفصال اذا ما احست بعدم الاستجابة لمطالبها ، فان قوتها ستؤيد تلك المطالب » .

وقال آخر « لقد قيل أن كارولينا الجنوبية وجورجيا سيكون لديهما فى وقت قصير أغلبية سكانية وفى تلك الحالة ستكونان من أعظم الولايات » .

ومن ثم كان هذا سبب التسويات التى أجراها المؤتمر الدستورى ، فالشمال وافق على تأييد الحكومة الاتحادية لأنه كانت لديه أغلبية سكانية والجنوب وافق على تأييدها لتوقعه زيادة عدد سكانه . وهكذا سويت مشاكل تجارة الرقيق بالاتفاق على بند الثلاثة الأخماس وتجارة الرقيق والعبيد الهاربين وكذلك البند الخاص باخماد أى عصيان من جانب الرقيق .

وهذا يعطينا فكرة عامة ، على الأقل ، عن اتجاهات المؤتمر الدستورى . والآن لنتساءل : لماذا تساهل الشمال مع الجنوب فى المؤتمر الدستورى بفيلادلفيا ، وفى نفس الوقت ، تقرر بموجب قانون الشمال الغربى الغاء الرق فى الولايات التى ستنضم مستقبلا الولايات المتحدة وهى وسكنسن ومتشجن والينوس وانديانا ثم أوهايو ولماذا وافق مندوبو الجنوب على ذلك القانون ؟

هناك ثلاثة أسباب أولاها هو : ولو اننا نظن اليوم أن

تلك الولايات الخمس الشمالية الغربية كانت ستكون ولايات ليس بها رق ، الا أن ذلك لم يكن واضحا كل الوضوح عام ١٧٨٧ ، ذلك لأن الأمواج السكانية عبر جبال الابلاش فى ذلك الوقت كانت قادمة من فرجينيا ونورث كارولينا الى ما أصبح فيما بعد ولايات كنتكى وتنيسى . وقد توقع الجنوبيون أن تلك الموجات السكانية التى حملت عائلات ابراهام لنكولن وجفرسن دافيز ستتجه أيضا نحو الشمال عبر نهر أوهايو الى ولاية أوهايو وانديانا والالينوس وان تلك الولايات قد تنحاز فى التصويت الى جانب الجنوب ، ولو أن هذا التوقع لم يتحقق الا أنه كان يقيم بها عدد كبير من الجنوبيين ولذلك قام نزاع فى الالينوس عام ١٨٢٠ بشأن الغاء قانون الشمال الغربى أو الابقاء عليه حرصا على مصالح هؤلاء الجنوبيين . بتلك الولايات واذن فأحد أسباب موافقة الجنوب على قانون الشمال الغربى هو الاعتقاد بأن تلك الولايات الشمالية الغربية ستضيف أصواتا فى صالح الجنوب بالكونجرس .

وثانى تلك الأسباب هو أنه حتى عام ١٧٨٧ كان مؤتمر المستعمرات يجاهد فى سبيل ايجاد تشريع للأجزاء الغربية كلها ، ولم يكن نهر أوهايو قد تقرر كحد فاصل بين ولايات الشمال الغربى والولايات الجنوبية الغربية ولكن ما حدث هو أن ذلك المؤتمر قرر عام ١٧٨٧ أن تلك الولايات ستكون حرة وفهم الجنوبيون أن تلك الولايات ستبيح الرق . وعندما طلبت الولايات بعد سنوات قلائل الانضمام للولايات المتحدة وافق الشماليون على انضمامها باعتبار أنها تجيز الرق .

والسبب الثالث أن الجنوبيين وافقوا على قانون الشمال الغربى على الرغم من الغائه الرق هو أن أحد بنود ذلك

القانون قلل من حجم عددالسكان المطلوب للانضمام الى الاتحاد وقد توقع الجنوبيون أن تلك الولايات ستؤيد الجنوب فى الكونجرس عند انضمامها .

وقد وافق المؤتمر الدستورى على ما تقرر بشأن الرق ، أى بند الثلاثة أخماس وتجارة الرقيق لتلافى تحرير العبيد ووجود اغلبية للجنوب فى الكونجرس وهكذا أرضى الشماليون الجنوبيين .

ومن عجائب الأقدار ان ينتخب توماس جفرسن رئيسا للولايات المتحدة ، بينما هو أحد ملاك العبيد وكان من المحتمل أن يسقط فى الانتخابات أمام منافسه جون آدمز من أبناء الشمال لولا بند الثلاثة أخماس الذى أكسبه أصوات الجنوبيين ، ولافساح المجال لنظام الرق غرب نهر المسيسبى قام بشراء منطقة لويزيانا من فرنسا .

وفى عام ١٨٠٠ أوقفت انجلترا وفرنسا حربهما مؤقتا لتتفرغا لمواجهة رجل اعتبراه عدوا مشتركا ، ذلكم هو توسان الفاتح الذى قام بثورة فى هايتى .

وفى ذلك العام ايضا قاد جبرائيل بروسر أول عصيان مسلح قام به العبيد فى الولايات المتحدة ، وقد حمل الثائرون علما كتب عليه « الموت أو الحرية » ولكن حاكم فرجينيا ، جيمس مونرو ، أخمد تلك الثورة وأعدم العبيد الثائرين .

وقد أظهر ذلك العام أن القرن التاسع عشر لن يكون عاما يبشر بالخير للسود فى أمريكا .

الرق والسود فى أمريكا

بقلم ستيرلنج ستكى (١)

ان السود الذين شحنوا الى العالم الجديد لم يأتوا من مجتمعات خالية من الثقافة والمنجزات والواقع أن هؤلاء السود جاءوا من مجتمعات وصل فيها التقدم الدينى والسياسى والاقتصادى والفنى مستوى عظيما . ومن الصعب أن نتخيل مدى الكرب والألم والمشاكل التى جلبتها تجارة الرق والرقيق على هؤلاء الأفريقيين . ومن دراستنا للماضى نعرف أن هؤلاء السود قد انتزعوا من قبائلهم وسيقوا كالماشية من داخل البلاد الى سواحل الأطلنطى ثم وسموا بالحديد المحمى ، بعلامات ثم حشدوا كالسردين فى سفن تعبر المحيط وفى فترة العبور قاسى هؤلاء المساكين من الأهوال ما لا يخطر على بال .

وعندما كانوا يصلون الى العالم الجديد تبدأ عملية « الأقلمة » أى تطويعهم للحياة الجديدة ، وتلك عملية تتسم بالشدة والقسوة ، والهدف منها هو جعلهم أتباعا خانعين ، انقطعت صلتهم بأفريقيا نهائيا وحطم كل

---

(١) عرف باهتمامه بالتاريخ الافرو أمريكى والمطالبة بتدريسه ونشرت له جامعة متشجين بحثا عنوانه « أهمية دراسة السود فى المناهج الدراسيه » وهو مستشار لبعض الجامعات الامريكية فى تلك الموضوعات .

ما يربطهم بمعتقداتهم وسلوكهم الذى ورثوه منذ نحـــو ألف عام ، وكانت تلك العملية هى حجر الأساس الذى قام عليه اخضاع الرقيق ، وهى دون شك لهـــــا صلة مباشرة للاضطهاد الذى يلاقيه السود حاليا فى الغرب .

ان تلك الحرب النفسية ضد السود ، التى استهدفت تحطيم ثقافتهم ومعنوياتهم للسيطرة عليهم ماديا وجسمانيا ، لقيت تأييدا كاملا من النظام القضائى فى أمريكا الشمالية ، فقد كانت تحركات الرقيق مقيدة وكان فى استطاعة أى شخص أبيض أن يطالب الأسود بابراز التصريح الذى يوضح خط سيره ، كما كان محرما على السود اجراء أى تعاقد أو امتلاك أى شيء وما كان فى استطاعة أحدمنهم أن يتزوج أو يتلقى أى تعـــليم الا فى حالات نادرة . والأعجب من كل ذلك أن دفاع الأسود عن نفسه ضـــد اى عدوان من الأبيض ، اعتبر جريمة ، كذلك كان اجتماع اكثر من ثلاثة من السود جريمة ، الا اذا كان بينهم رجل أبيض .

باستقرار نظـــام الرق خلال القرن التاسع عشر ، اشتدت وطأة القوانين وأصبحت لقاءات السود الارقاء بالسود المحررين أمرا بغيضـــا لدى ملاك العبيد يمنعونه بكل وسيلة . وهذا بايجاز « القانون والنظام » الخاص بالعبيد ، وهـــو ما قضت به تشريعات الرجـــل الأبيض وأقرته الكنيسة والدولة والمحامون والوعاظ والسياسيون والأساتذة ، كما أجازته الديمقراطية الأمريكية .

وقد عرض البروفسور كنيث ستامب فى كتابه « النظام الفريد » الطرق الخمس التى استخدمها الـكثيرون من « الأسياد » لتكوين عبد مطيع وهى : الحرص على النظام الدقيق ، غرس الشعور بالضعة بسبب اصله الافريقى ،

ارهابه باقناعه بســـلطان البيض وقوتهم ، تدريبه على الايمان بأن مصلحته هى مصلحة سيده واخيرا ان تغرس فى نفسه روح اليأس وقلة الحيلة والاستسلام .

ولو ان القوانين الخاصة بالرق كانت تطبق حرفيا فى المزارع الكبرى ، الا أنه كان من الصعب السيطرة على العبيد فى المدن ، لوجود سود محررين فيها وهؤلاء كانوا يشجعون المستعبدين على المطالبة بالتحرر . يضاف الى ذلك أن العبيد فى المدن ما كانوا يقيمون مع أسيادهم فى مسكن واحد ، بل كانوا يقيمون فى مساكن بعيدة أحيانا ومن ثم كانوا يعيشون فى عزلة الى حد ما ، كما كان فى استطاعة الواحد منهم أن يؤجر نفسه فى مكان آخر ليكسب أجرا يمكنه بمضى الأيام من شراء حريته .

وقد كانت حالات شراء الحرية قليلة بين عامى ١٨٣٠ و ١٨٦٠ عنـدما ازداد الصراع بين الســود والبيض فى الجنوب .

فهل كان السود بليدى الاحساس تجاه ما يقاسونه ،كما يذهب بعض المؤرخين البيض ؟ ان الرق لم يـكن محنة انسانية أغفلها التاريخ كما أن العبيد لم يقابلوا محنتهم بالصمت والاستسلام بل كانوا يروون لبعضهم البعض ولصغارهم ما حل ببعضهم من آلام ، عندما كان أبناؤهم يؤخذون منهم قسرا ، وليس من السهل ان نعرف مقدار ما عاناه السود بسبب الرق .

وقد وصف أحدهم الآلام والأشجان التى كانت تحيق بالأمهات السود قائلا :

« الموقد لا يستعمل والأطفال الأبرياء الذين كانوا يغنون ويرقصون حولها قد رحلوا وهى تتحسس طريقها فى ظلام

الشيخوخة بحثا عن جرعة ماء .. والقبر عند الباب ... والآن وفى الوقت الذى تحتـــاج فيه والدة ، فى أواخر أيامها ، الى عطف وحنان أبنائها ، تقيم جدتى العجوز البائسة وحدها بعد أن حرمت من اطفالها الاثنى عشر ، فى كوخ حقير أمام جمرات قليلة تكاد لا تلتهب » .

ولو أن نظام الرق لم يعترف بالزواج بين السود ولم يعترف بالأسر التى تنشأ بينهم ، الا أن ذلك لم يمنع من وجود روح تراحم وتعاطف بين السود ، ودليل ذلك ما كانوا يكتبونه أو ينشدونه من أغنيات تجلت فيها تلك الروح، يضاف الى ذلك أنه عند الغاء الرق نهائيا اخذ الآلاف من السود فى البحث عن أقاربهم وأصحابهم ممن ابعدوا عنهم قبل الالغاء .

لقد قام ملايين السود فى الواقع ببناء أمريكا البيضاء اذ عهد اليهم بأشق واحط الأعمال وكان لسواعدهم القوية فضل تحويل مساحات واسعة من البرارى الى اراض تزرع وتسكن ، اضطلعوا بــكل ذلك بينما كانوا يعاملون كمجرد أدوات أو أشياء تستعمل وتساق حتى تستهلك ولا يمكن الافادة منها ، وليس من المبالغة القول بأن أمريكا البيضاء عملت على أن تسلب من السود انسانيتهم وتحطم معنوياتهم .

وقد قاوم السود بما لديهم من معدات قليلة وبسيطة وهاجموا البيض مرارا وقاموا بثورات ، كما كانت هناك مقاومات من يوم لآخر كادعاء المرض والتخريب وبتر الساعد أو الكف ، ولكن سلطان البيض لم يمكن قهره وكان الخضوع ملاذ السود .

فما هى القيم والعوامل والظروف التى ساعدت السود

على اجتياز محنتهم ؟ وهل حاولوا بطريقة ما تشكيل قيمهم حسب الظروف وحسب البيئة التى يقيمون فيها ؟

لم يتناول أى مؤرخ بالتفصيل موضوع قيام عالم خفى للسود ولكن بعض السود قد حظى بمكان مرموق فى الموسيقى والدين . نحن نعلم اليوم أن الموسيقى والقصص الشعبية للرقيق قد تأثرت بأفريقيا تأثرا ظاهرا وكذلك الديانة ، وتلك الاعتبارات مضافا اليها تجاربهم فى العالم الجديد ، كل ذلك يفسر لنا السبب فى وجود خلافات من حيث الفن والدين بين السود والبيض والسبب فى اختلاف نظرة كل من الفريقين الى أمريكا والعالم .

ويذهب دكتور « دى بوا » (١) الى أن الزنوج فى أمريكا الشمالية اعتبروا أنفسهم افريقيين لمدة قرنين ، وقد يكون فيما رآه شيئا من المغالاة ، ولكنه أقرب الى الواقع بعكس بعض الباحثين الذين لا يعترفون بوجود أى تأثير افريقى على الرقيق . ومما يؤيد ما ذهب اليه دكتور « دى بوا » ان السود المحررين فى شمال أمريكا ظلوا نحو مائتى عام يعتبرون أنفسهم أفريقيين أو افريقيين محررين، بل كانوا يصفون منظماتهم بأنها افريقية ويظهرون منتهى الاهتمام والولع بكل ما هو افريقى . ويتجلى هذا الوعى من قبل السود فى بحثهم عن أقاربهم بعد الغاء الرقيق وتخلص عدد كبير منهم من الأسماء التى أطلقها عليهم أسيادهم . وكما يتفاهم السود اليوم مع بعضهم البعض بطرق لا يدركها أغلب البيض ، فمن المحتمل أنهم كانوا يتفاهمون بنفس الطرق ، وربما بطرق أخرى أكثر

(١) أمريكى من أصل زنجى ، اشتغل بالتعليم وألف قصصا وكان عضوا بالجمعيات التى تناهض التفرقة العنصرية .

في عهد الاسترقاق . وقد قام احد مشاهير الزنوج وهو « بوكر واشنطن » (١) بذكر الكثير من هذه الطرق فى كتابه « التحرر من الرق » .

وعندما انتهى نظـــام الرق ، جثم كابوس التفرقة العنصرية على صدور الأمريكيين البيض ، مما دفع أغلبهم الى الاصرار على اعتبـــار السود « أشياء » تستعمل وتستغل ، على كافة مستويات الاتصـــال بين الاثنين ، سواء أكان ذلك فى التعليم أو السياسة أو الاقتصاد أو فى الفن ، كمـــا اعتبر السود أساس كل الشرور وجماع الشهوات الجنسية .

وقد كان من أثر تملك البيض للسود وحرمانهم من حريتهم مدة طويلة ، ان انفرس فى نفوس البيض التعصب ضد السود حتى بعد الغاء الرق بنحو قرن ، ويظهر هذا فى ميدان التعليم اذ يصر البيض على الهيمنة على تعليم السود ، كما يظهر فى ميدان السياسة اذ ليس للسود من الناحية العملية أى دور فى سن القوانين التى يجب عليهم اتباعها ، أما فى المجال الاقتصادى فليس لهم نشاط يذكر ، الا فيما يتفضل به عليهم البيض .

والواقع ان أغلب الأمريكيين البيض يؤمن باخلاص ، أن الأمريكيين البيض أفضل الشعوب وأن أرواحهم أغلى بكثير من أرواح الآخرين فى أى مكان حتى فى أمريكا ، وهذا طبعا ضرب من الجنون مرجعه الى عهـــد الرقيق

---

(١) من مشاهير الزنوج ولد فى فرجينيـا عام ١٨٥٦ وجاهد حتى أتم تعليمه ثم عين مديرا لاحد معاهد تدريب الزنوج واعتبر من رواد هذا الميدان وتوفى عام ١٩١٥ ، وفى ١٩٤٦ أزيح الســـتار عن تمثال نصفى ولوحة تذكارية فى « رواق المجد » بجامعة نيويورك ، الى جوار عظمـــاء أمريكا الراحلين .

والى الابادة الجماعية للهنود الحمر والى اعتقاد الكثيرين من البيض انه من الجرم التسامح مع الزنوج مثلمـــا يتسامحون مع المهـــاجرين من شتى الأمم بسبب تلك الرواسب القديمة .

لقد قاسى السود فى عهد الاستعباد صنوفا من الاضطهاد والتعذيب لانظير لها فى التاريخ القديم والحديث وان جهاد السود للتخلص من كل ذلك هو فى حد ذاته انتصار لهم وان استمرارهم فى هــذا الجهاد حتى تحرروا هو أكبر دليل على حيويتهم وأكبر نصر فى تاريخ الانسانية .

واذا عرف العالم ما قام به السود من جهود ضخمة فى سبيل بناء أمريكا الحديثة ، فانه لا شك سيعمل على علاج ذلك السرطان الــذى يهدد الحياة والطمأنينة على ظهر الأرض .

الرق وأمريكا البيضاء

بقلم ستيرلنج ستكى

اذا فكرنا فى العلاقة بين الرق والمجتمع الأمريكى وبين هؤلاء المستعبدين ومن استعبدوهم ونزلوا بهم الى تلك الحالة الفظيعة ، اذا فكرنا فى ذلك فمن واجبنا ان نتذكر أن مؤسسي الجمهورية وفلاسفة الحرية والديمقراطية الأمريكيين أمثال توماس جفرسن وجورج واشنطن كانوا أنفسهم ممن يملكون عبيدا ، ورغبة من هؤلاء فى عدم الغاء نظام الرقيق فقد وافقوا على قيام امة بين أفرادها مئات الآلاف من الأرقاء وبذلك كان ارتباط الحرية بالرق زواجا غير شرعى وغير مستساغ . ولم يسبق فى التاريخ ان كون الناس أمة بمثل هذا الزيف والنفاق (ولا ننسى انه قبل قدوم الرجل الأبيض الى سواحل أمريكا كانت الارض ملكا للهنود ، وأن الهنود عند ميلاد الأمة الأمريكية كانوا يذبحون ويطردون من أراضيهم ، وان هؤلاء الهنود الذين امتلكوا أراضيهم عدة قرون كانوا يعتبرون متوحشين فى نظر من كانوا يقتلونهم ويسلبونهم ويسلخون جلد رءوسهم) .

وقبل ان يصل الآباء المؤسسون الى التسويات التى اشرنا اليها ،حاول أسلافهم من عام ١٦١٩ الى ١٦٦٠

الاستفادة جهد الطاقة من السود وقرروا أن الاسترقاق مدى الحياة ، لا العمل لمدة معينة هو الحل الأمثل . وقد استغلت المسيحية لتبرير استرقاق هؤلاء الافريقيين الذين جلبوا الى امريكا عنوة وهكذا كانت الكنيسة أولى الهيئات التى باركت استعباد السود . ثم عمل القادة السياسيون بمرور الوقت على تقنين الاستعباد الذى كان يجرى فعلا بحكم العرف والضرورة الاقتصادية ولكن الواقع أن الضرورة الوحيدة ، اذا كانت هناك ضرورة ، كانت هى الدافع النفسى لبعض الأمريكيين البيض لاستخدام آخرين لينعموا بحياة هانئة رخية .

وقبيل قيام الثورة الأمريكية كانت جميع الهيئات فى المجتمع الامريكم سواء أكانت دينية أم تعليمية أم سياسية، أم اقتصادية أم قانونية أم اجتماعية تؤيد نظام الرقيق مما ساعد أمريكا على توطيده وترسيخه . فلما قامت الثورة كانت نتائجها حافلة بالمتناقضات ، فبينما حرم الرق فى الشمال وأعلنت الحرية للبلاد والسكان ، كان هناك فريق من السكان يعانى أقسى وأبغض أنواع الاستعباد فى تاريخ البشر وبينما أصبحت الحرية هى النشيد المحبب للأمريكيين البيض ، كان التمييز العنصرى أى الاعتقاد بأن فريقا من الناس بسبب لون جلدهم أرقى من غيرهم من ذوى اللون المختلف عن لون جلودهم ومن ثم كان من حقهم بسبب ما لديهم من سلطان اقتصادى ونفوذ سياسى واجتماعى أن تكون لهم الكلمة العليا ، ولكثرة عدد البيض سيطر هذا الاعتقاد على غالبيتهم .

ومن الواجب دراسة كيف انتقلت الروح العنصرية من جيل الى آخر ، والواقع أن مجموعة نظم عامة وخاصة عملت على دفع تلك الروح بحيث أصبحت أمرا جوهريا فى

الحياة الأمريكية . ولذلك فان الحرية التى نادى بهـــا المؤسسون وأيدتها الثورة الأمريكية ، تحولت الى حرية أخرى ، حرية لتسلط فريق من الناس على فريق آخر ، يسلبه حريته ويسومه العذاب . وزاد الطين بلة أن الامواج المتتالية من المهاجرين الى امريكا لم تحـــاول تغيير تلك الأوضاع المزرية بالانسانية وكأن فشل الذين أسسوا تلك البلاد فى الغـــاء الرق كان يعنى بمرور الأيام أن الرق أصبح أحد الأسس الراسخة وأن على القادم اليها أن يتقبل هذا الوضع أو يعود من حيث أتى ، وأن يؤمن بأن السود قوم متوحشون يجب معاملتهم بمنتهى الشدة وأن من لا يخضع للوائح والقوانين الخاصة بالرقيق فهو خارج على القانون وثائر .

وقد وصف الزنوج بالكسل على الرغم من انهم هم الذين قطعوا أشجار الغابات وزرعوا الأرض ومدوا خطوط السكك الحـــديدية وبنوا أرصفة الموانى .. كما عنيت نساؤهم بحضانة الأطفال وتربيتهم الى غير ذلك من مختلف الانجازات والأعمال .

ولقد عاش السود قرابة قرنين ونصف فى أغلال الرق ونحو قرن يعانون من العنصرية والتفـــرقة والعزلة وهم يدركون ان تجربتهم فى أمريـــكا كانت مأساة لم يدركها الأمريكيون الا خلال الحرب الأهلية التى قتل فيها البيض بعضهم بعضا بسببهم ، حتى لقد اتهم أنصار تحرير العبيد بالتهور والجنون .

ويروى بعض المؤرخين ان الافرو أمريكيين سلكوا طرقا مختلفة وشاذة أحيانا فى سبيل المحـــافظة على بقائهم واشباع غرائزهم الجنسية ، من ذلك الاتصال الجنسى بالهنود الحمر ، الأمر الذى نتج عنه حنق البيض وتغلغل

العنصرية وتوارثها من جيل الى آخر خلال ثلاثة قرون ونصف .

ولقد عملت العنصرية ، مضافا اليها جشع أصحاب الرقيق والمستفيدين منه ، على رواج الاتجار بالرقيق والانتقال بالأرقاء من الأماكن التى قلت الحاجة فيها اليهم الى مواطن جديدة فى الجنوب الغربى ، لاصلاح وزرع الأراضى وزيادة النفوذ السياسى للولايات التى تتمسك باستمرار الرق . وأصبحت واشنطن العاصمة مركز اشعاع لتلك العملية البشعة ، يضاف اليها عدة أماكن أخرى وكانت البنوك والسجون وشركات الرهن تقدم التسهيلات علانية للمتجرين فى البشر .

وشبيه بتجارة الرقيق فى الخسة ، بل اشد خسة ما كان يقوم به بعض البيض الذين كانوا يجمعون بين ذكور واناث السود ثم يستولدونهم ويربون مواليدهم حتى اذا شبوا عن الطوق باعوهم كما تباع صغار العجول ، وذلك كان يحدث غالبا فى الجهات الشمالية للولايات الجنوبية ، وقد نشطت هذه العملية فى فرجينيا وكان يكتنفها آثار تحرمها الشرائع السماوية وتتقزز منها الانسانية كالاتصال الجنسى بين الأخوة والأخوات بل والاستعانة ببعض الرجال البيض أحيانا حتى أصبح بين زنوج الولايات المتحدة عام ١٨٦٠ ، البالغ عددهم يومئذ نحو اربعة ملايين ، مئات الآلاف من الخلاسيين (اى المولدين من البيض والسود) لأن الرجال البيض وجدوا فى النساء السود مجالا لاشباع غرائزهم الجنسية وشهواتهم ، دون أية التزامات أو مسئوليات ، الأمر الذى كان موضع حيرة واستهجان لدى النساء البيض .

لقد كان عدد سكان ولايات الرقيق عام ١٨٦٠ نحو ثلاثة

عشر مليونا سودا ۰۰۰ر۸۹۸ر۸ بيضا و ۰۰۰ر۹۵٤ر٤ عبيد و ۰۰۰ر۲۸۰ سودا احرار . اى ان عدد السود المستعبدين كان اكثر من نصف عدد البيض . وهؤلاء السود المستعبدون حملوا أعباء أشق الأعمال في امريكا ، ومن ثم كان لدى البيض من أوقات الفراغ الشيء الكثير ، ولكن أغلبهم لم يحسن استثمارها وكانت منجزاتهم الفنية والأدبية في تلك الفترة لا تتلاءم مع ما كانوا يستمتعون ، من رفاهية ورخاء ، بينما انصرف السود الى الموسيقى التي عبروا بها عن آلامهم وأشجانهم .

لقد أنزل الرق مكانة السود الى الدرك الأسفل ولكنه في نفس الوقت حط من منزلة مالكي الرقيق من البيض لأنهم تجردوا من انسانيتهم واسترخصوا حياة فريق من البشر بوحشية في سبيل تنمية ثرواتهم وتحقيق أطماعهم الدنيوية وأورثوا تلك الروح كثيرا من البيض فى مختلف انحاء العالم ووضعوا الأساس لما يلاقيه السود اليوم من ظلم وعسف فى أمريكا وفى اجزاء أخرى من العالم .

الرق وبناء أمريكا

بقلم ستيرلنج ستكى

قام السود فى أمريكا بانجازات عظيمة وأعمال رائعة ولكن ذلك كلفهم ثمنا غاليا فالآلاف ومئات الآلاف وربما الملايين من السود قد حطمتهم محنة الرق وقصمت ظهورهم مدة تزيد على قرنين ونصف . ولكن السود على الرغم مما قاسوه من وحشية البيض استطاعوا أن يكونوا لأنفسهم عالما خفيا خاصا بهم وابتكروا أسلوبا للحياة ومعيارا لتقييم الأشياء وزاوية خاصة لرؤية العالم ، دون أى تدخل ممن كانوا يضطهدونهم من البيض .

لقد حظى السود بموهبتين : موهبة الغناء وموهبة القوة العضلية ، وقد ساهم بهما السود فى بناء أمريكا . وقد عاونت القوة العضلية فى بناء أمريكا بأسرع مما كان متوقعا ، لأن السود عملوا كارقاء لا يتناولون اجرا عما يقومون به وهم الذين زرعوا وحصدوا المحاصيل الرئيسية فى الولايات المتحدة كالقطن والدخان والنيلة وقصب السكر والأرز ، وقاسوا فى ذلك المجال مشاق كثيرة أودت بحياة الكثيرين منهم .

والسود هم الذين مدوا خطوط السكك الحديد

وبناء السدود فى الجنوب وفى اصلاح وزراعة مساحات واسعة فى الجنوب والجنوب الغربى واضطلعوا بالأعمال القذرة التى ترفع عن مزاولتها البيض ، كغسل الثياب وطهى الطعام ومسح البلاط ، وبذلك أفسحوا للسادة البيض منتهى الراحة والهدوء ثم جمع المال .

واشتغل السود فى المصانع والمسابك وأحيانا فى المناجم وأظهروا المهارة فى الأجزاء الجنوبية الزراعية ، كما كان شأنهم فى المدن وكانوا يكونون اربعة أخماس العمال الفنيين .

وقضى السود نحو قرنين ونصف فى العمل دون اجر يذكر وهم يقومون بدور بارز فى بناء أمريكا ، وهو دور لم تصل الى مستواه اية أقلية أخرى ، بل دور لا يتناسب مع عددهم .

وقدر « بيشوب تيريز » هذا الجهد وذلك الشقاء ولذلك قال « ان السود لهم الحق الف مرة أكثر من أى قوم آخرين ، فى أن يكونوا سادة فى أمريكا » .

والموهبة الأخرى التى منحها السود لأمريكا هى موهبة الغناء ، وهى موهبة أسىء فهمها ومنيت بالاحتقار والتشويه ومما يؤسف له أن المؤرخين لم يقدروا اهمية الفولكلور لدى الرقيق بالنسبة للأرقاء أنفسهم وبالنسبة للثقافة الأمريكية وهذا الفولكلور كما تعكسه اغانى الأرقاء وشعورهم بأحوالهم وكانت تلك الأغانى رسائل معبرة ، موجهة للعالم ينفسون بها عما بداخلهم من آلام وأشجان .

من الغريب أن البيض ظلوا حتى عام ١٩٠٣ يعتقدون ان تلك الأغانى انما هى تعبير عن السرور والسعادة وان

السود قوم طبعهم الاهمال والمرح .

وقد فند هذا الزعم « دى بوا » (١) فى كتابه « نفسية السود » بقوله فى الفصل الخاص بالجهاد الروحى للسود : « قد يصدق هذا الزعم على البيض ولكن تلك الأغانى موسيقى قوم تعساء خلقوا لليأس والبؤس ، اذ تتناول الموت والشقاء وتنشد عالما أفضل » .

وقال آخر عن تلك الأغانى أنها تمثل آلام قلوبهم المكلومة وانها كانت كالدموع يذرفونها تنفيسا عن أنفسهم وأنها لم تكن تعبيرا عن المرح والحبور لأن هذا النوع من الأغانى ، أى الأغانى المرحة ، لم يعرفه السود الذين كانوا بين براثن الرق وانما عبرت أغانيهم عن افكارهم وأمانيهم وايمانهم بنهاية استعبادهم . وتطلع فيها هؤلاء البؤساء الى السماء وناشدوها الصبر والنصر ، دون أن يغمضوا أعينهم عما يلاقونه فى هذه الحياة الدنيا من جور وعسف مما يدفعهم دائما الى التفكير فى الهروب . وفيما يلى سطور من أناشيدهم الدينية تؤيد ما ذهب اليه :

أواه ، فى مستقبل الأيام ، فى مستقبل الأيام ،
سأنزل عن كاهلى هذا الحمل الثقيل ،
ان طريقى مليء بالسحب ،
وعلى أن أواجه العاصفة ، فلن يطول بى الوقت
وسنرسو على بر الأمان قريبا .
يارب ساعدنى على النجاة من الغرق ،
اننى لا أعلم لماذا تريد أمى البقاء هنا

(١) ذكرنا نبذة عنه فيما تقدم .

فهذا العالم لم يكن حبيبا اليها !

والمطالع للأناشيد الدينية لدى الزنوج يتجلى له ان السود اتجهوا الى الله بفطــــرة سليمة وروح صافية وبساطة محمودة ، كتب أحدهم يقول :

عندما أصعد الى السماء

سأكون فى منتهى الطمانينة

سأعمل انا والله ما نريد .

سأثرثر مع « الأب »

وأتناقش مع « الابن » .

واحدثهم عن الدنيا

التى قدمت منها .

ومما يلفت النظــــر أنشودة « شمشون » (١) التى تضمنت من الايحاءات أكثر مما ورد بالتوراة وعباراتها :

قال : « لو كان لى أن أفعل ما أريد » ،

قال : « لو كان لى أن أفعل ما أريد » ،

قال : « لو كان لى أن أفعل ما أريد لهدمت هذا البناء » .

قال : « والآن ، لقد نلت ما أريد » .

لقد نلت ما أريد ،

لقد نلت ما أريد

وسأهدم هذا البناء » .

---

(١) هو شمشون الجبار صاحب العبارة المشهورة : « على وعلى أعدائى » .

وقد قصد بعض من أنشدوا تلك السطور هدم نظام الرق .

وكان السود أحيانا يصوغون شعرا عظيما كما كانوا يؤلفون موسيقى شجية . وقد عبر أحد نوابغهم عن رغبتهم فى الحرية بقوله :

بعد أن دوى صوت الله خلال السماء وتردد فى الجحيم (١) ،
اهتز سجنى وسقطت اغلالى .

وقد أنشد الأرقاء أيضا أغانى تهكمية عن الرق توارثوها منها :

نحن نزرع القمح
وهم يعطونا الذرة .
نحن ننخل الدقيق
وهم يعطونا النخالة .
نحن نسلخ اللحوم
وهم يعطونا الجلود .
وبهذه الطريقة يخدعوننا .

وكثيرا ما فكر الأرقاء فى وضعهم المضحك المبكى وأدركوا أن الرق سخافة لا يقبلها العقل والضمير .

والتفرقة العنصرية فى أمريكا سخافة ممقوتة أيضا وبعض السود لا يزال فى مقدورهم السخرية منها . ولكن ما لم يدركه البيض أن تلك السخرية انما هى تعبير

---

(١) المقصود بالجحيم الاماكن التى كان يعيش بها العبيد « المترجم » .

عن العذاب الأليم ، كما تبينه تلك الأغنية :

اجر أيها الزنجى ، اجر
الخفراء سيقبضون عليك
اجر أيها الزنجى ، اجر
لقد اقترب النهار
عندما جرى هذا الزنجى .
لقد انطلق هذا الزنجى بسرعة ،
ومزق هذا الزنجى قميصه
لقد قام هذا الزنجى بعمل رائع هو الهروب .

وها هى أغنية اخرى :

وعدتنى سيدتى المتقدمة فى السن انها عندما تموت
ستطلق سراحى ،
لقد عمرت طويلا حتى أصبحت رأسها صلعاء
وتخلت عن نية الموت بتاتا .

وعبرت بعض الأغانى عن كراهيتهم للرق وادراكهم لما يجرى ، من ذلك :

جلس سيدى وسيدتى فى الردهة
يفكران ويخططان كيف يزيدان فى عمل الزنجى .

وها هى سطور تتجلى فيها المرارة :

السيدة فى البيت الكبير ، وامى فى الفناء ،
السيدة تمسك بمنديل فى يدها البيضاء وامى تعمل بجد ،

والزنوج يعزقون الأرض ، والزنوج يعزقون الأرض

وهذه سطور أخرى :

عندما كنت صغيرا وفى مقتبل عمرى .

كنت اغوص بفاسي فى الأرض كل مرة .

وقد ألمح السود الى انهم بخبرتهم ادركوا ان الرجل الأبيض ضعيف بنفسه قوى باخوانه وأنهم كانوا لا يفاجئون السود الا اذا كانوا عشرات .

ومن أغانيهم كذلك :

الرجل بمفرده ليس الا رجلا واحدا ،

ولكن قبل أن يضربنى سائق الآلة البخارية .

سأموت ومطرقتى فى يدى .

وكان هناك أرقاء يغنون أغانى تنم عن وعيهم الأفريقى ، ومنها :

اهلا ، أهلا بكم جميعا أيتها العشيرة الافريقية ،

أهلا ، أيها المظلومون ، أيتها العصبة الافريقية ،

الذين يكدون ويعرقون فى أغلال الرق .

وعندما تضعف صحتكم وتذهب قوتكم ،

تتركون للجوع وللحزن .

ليكن التحرر هدفكم .

ذاكرين ما يجب عمله .

ضحوا بأجسادكم ، فالحرية جديرة بالنضال ،

حتى ولو بلغت اكوامها عنان السماء .

وها هى اغنية عن نات تيرنر (١) أحد الزعماء الثائرين من السود :

قد تكون فى غاية الثراء
تركب عربة تجرها أربعة جياد
ولكنك لن تستطيع أن تمنع العالم من الحركة
ولا نات تيرنر من الانتصار
وقد تكون بالتأكيد مثل قيصر
ولديك مدفع يصيب على مسافة ميل أو أكثر
ولكنك لن تستطيع أن تمنع العالم من الحركة
أو تحول دون انتصار نات تيرنر .

وعندما اشتعلت نيران الحرب الأهلية ادرك كثير من الأرقاء لأول مرة أن فى مقدورهم أن يتخذوا قرارا يكفل تحريرهم ، وبالطبع ، وفى أوائل تلك الحرب كيف كان يتسنى لأى رقيق أن يعـــرف ما اذا كانت أية ثورة للرقيق ستظفر بالنجاح ؟ ولذلك فان غالبية الأرقاء قاوموا الرق بالوسائل التى تمكنوا منها والتى لم تكن كافية لتحريرهم .

ولكن عندما ظهرت فى الأفق بشائر التحرر ، اتخذ الأرقاء قرارا حاسما . لقــد كانت جموعهم وجيوشهم لا يعرف عنها أحد شيئا ، بينما الشقاء وراءهم وأمامهم والاشاعات عن بقاء تجارة الرقيق تتناقلها الأفواه . ولكن

(١) زنجى قاد ثورة للسود فى فرجينيا سنة ١٨٣١ ، وقتل خلالها ٤٧ رجلا أبيض وقد استدعى الجيش لاخمادها فتمكن من ذلك ، تم قبض على تيرنر وحوكم وشنق . « المترجم »

فى بطء بدات الحقيقة السافرة تبدو للعيان : ستكون هناك حرية ! وتحركت أمة من السود خلف الجيوش غير عابثة بما كانت تقاسيه من مشاق ، ولا مكترثة بما تلاقيه من عنت ودون اى خوف من الموت مهما كانت وسيلته .

وسار آلاف السود وراء قوات شيرمان (١) فى مسيرته نحو البحر (الساحل الشرقى) .

وقد عبر أحدهم بانصاف عما كان يخالج الأرقاء لحظة اعلان التحرير بقوله :

لقد عم السرور الجنوب ، وكان ذلك السرور أشبه بالعطر بل بالصلاة ، اذ وقف الرجال (السود) وبكت الفتيات النحيفات ذوات الشعر المجعد بينما رفعت الشابات أيديهن ابتهاجا . أما الأمهات العجائز والثكلى صاحبات الشعر الأسود والرمادى فقد أطلقن صيحات عالية حامدات لله فى كل مكان ، وهن يسرن فى الحقول وعلى الصخور والجبال ، وكان بعض هؤلاء جميعا يغنى :

لقد تحطمت أغلال الرق فى النهاية

لقد تحطمت أغلال الرق أخيرا وسأحمد الله حتى أموت

لقد شكوت اليه ما كنت أعانيه فى سجنى واغلالى

والأيام التى مشيت فيها منكس الرأس ،

---

(١) وليم شيرمان (١٨٢٠ - ١٨٩١) أحد كبار القواد الامريكيين فى الحرب الاهلية ، استولى على مدينة اتلانتا بولاية جورجيا ثم أخلاها من سكانها وأحرقها عام ١٨٦٤ ثم بدأ مسيرته الشهيرة شرقا نحو البحر حتى ميناء سافانا التى استولى عليها ، كما استولى على مدينة كولومبيا واضطر مدينة تشارلستون بولاية كاروليفا الجنوبية للاستسلام . كل ذلك قام به ليقطع الاتصال بالجنوب « المترجم »

اغانى من الآلام الشىء الكثير
لقد تحطمت أغلال الرق فى النهاية
لقد تحطمت اغلال الرق فى النهاية
وسأحمد الله حتى اموت .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن الحـرب الأهلية هى التى دفعت الأرقاء الى الاهتمام بالتحرر ، ولكن قراءة متأنية لأغانى الأرقاء أثناء العمل وكذا اناشيدهم الدينية تدحض هذا الراى ، ذلك انه قبل شبوب حرب التحرير كان الأرقاء يغنون :

تعالوا أيها الأخوة ، ودعونا نستريح
بينما القمر يتلألأ ضوءه
لقد مات السيد العجوز وتركنا أخيرا
وذلك ليحاسب على ما أنزله بنا .
لقد مات السيد العجوز وهو يرقد الآن فى قبره .
وستكف دماؤنا عن النزيف
ولن يدوس على رقبة الرقيق .
لقد ذهب الى حيث يذهب ملاك العبيد
سأترك الجاروف والفاس ،
فلم أعد أهتم اذا اشتغلت أو لم أشتغل .
لقد ذهب الى حيث يقيم ملاك العبيد .
لقد ذهب الى حيث يجب أن يذهبوا .

فكيف يمكن أن نسمى من ينظمون مثل هذا النوع من

الشعر وهذا النوع من الموسيقى ، نسميهم « خلاسيين » (١) وكيف يمكن المرء أن يقول أنهم لم يكونوا على وعى بكيانهم وأنهم لم يمعنوا التفكير فى وضعهم الذميم .

أنا نحس بالموسيقى لوضوح التعبير وصدوره من القلوب المكلومة .

ولا يتسع الوقت لتناول القصص الشعبية ، غير انه تجب ملاحظة أن القصص الشعبية الأفرو أمريكية تروى دائما أن الحيوانات الضعيفة تتفوق بذكائها على الحيوانات القوية . وكذلك كان يفعل الرقيق مع سيده . وهذا يدل على أن عددا كبيرا من الأرقاء كانوا على ادراك بحالتهم ولم يقبلوا نظرة « الأسياد » اليهم .

وليست هناك شهادة ابلغ فى الدلالة على معنى ومغزى أغانى العبيد من أنه أثناء حركة التحرير خلال السنوات الأخيرة الماضية ، كان السود الذين يجلسون لتناول الغذاء على المناضد ، والسود الذين انهمكوا فى المواكب للمطالبة بالتحرر والسود الذين اهتموا بتسجيل اسمائهم فى قوائم الانتخابات بالجنوب ، هؤلاء جميعا انشدوا أغانى الرقيق ، وكان مما أنشدوه :

لقد جدف ميكل بقاربه حتى الشاطىء

وسنقف كشجرة بجانب المياه ،

ولن نتزحزح عن مكاننا .

وقد عبر دى بوا (٢) عن هذا أحسن تعبير بقوله :

---

(١) Sambo أى خلاسى ، أحد ابويه زنجى او من الهنود الحمر

(٢) سبقت الاشارة اليه .

« لقد اعطينا هذا البلد مواهبنا فى الفناء والعضلات والحيوية واقمنا واحة صغيرة للايمان فى صحراء كثيرة الغبار ملأى بالدولارات والمكر » .

وقد يحسن المؤرخون صنعا بالاستماع « لدى بوا » الذى كان المؤرخ الأول والوحيد فى الأجيال الحديثة ، لأنه تناول القصص الشعبى للسود بتفهم صادق واحساس مرهف وكان على حق عندما قال : « ان أغانى الأرقاء تؤكد أملهم فى التخلص مما ألقى بهم فيه من أقدار وأوحال والتحرر مما نكبوا به من محن وآلام » .

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩١٩ ـ ٨١

الترقيم الدولى : ٨ ـ ٨٥ ـ ٧٠٣١ ـ ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص ٠ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشـــم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

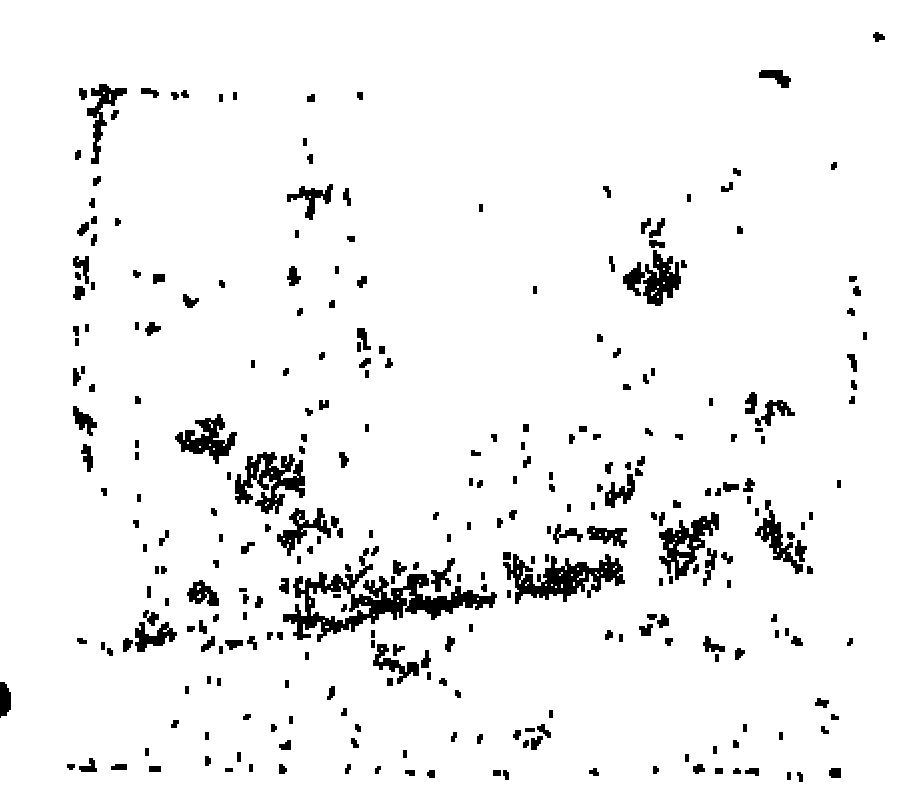
THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.

اســـعار البيع للجمهور في البلاد العربية للاعداد العادية من « كتاب الهلال » الشهرى بسعر ٢٠ قرشا للقارىء في مصر ٠

سوريا : ٣٠٠ ق٠س ثلاثمائة قرش سورى
لبنان : ٢٥٠ ق٠ل « مائتان وخمسون قرشا لبنانيا »
الاردن : ٢٥٠ فلسا «مائتان وخمسون فلسا اردنيا»
الكويت : ٣٥٠ فلسا « ثلاثمائة وخمســون فلســا كويتيا »
العراق : ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلس عراقى »
الســـعودية : ٤½ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال »



هــذا الكتاب

من اكبر الفتوح في ميدان حقوق الانسان استقرار حقوق الجنس الاسود والاعتراف بملكاته ومواهبه التى اثبت بالفعل انه جدير بهـا كل الجدارة ، وانه يستطيع ان يصل الى أعلى مستويات الابداع فى كل ميدان • وقد وصل السود الى هذا النصر بعد كفاح طويل مع الاوروبيين والامريكيين بصورة خاصة فقد كان أهل الغرب يعتبرون السود جميعـا بشرا تحت مستوى الناس أو كانوا يصطادونهم كما تصطاد الوحوش ويستانسونهم لاستخدامهم فى أقسى الاعمال واحطها دون ان يعترفوا لهم بأى حق انساني •

وهذا الكتاب الفه اثنـان من ابناء الجيل المعاصر من السـود الامريكيين ، انهما استاذان فى جامعتين امريكيتين ، وهما يعرضـان موضوع الرق وتجارة العبيد التى كان يقوم بها الاوروبيون والامريكيون ويتحدثان عن اسـاليب صيد السـود الافريقيين ونقلهم الى أمريكا وبيعهم هناك فى المزادات كأنهم حيوانات •

وقد ترجم هذه الوثيقة وأضاف اليهـا تعليقـات ذات قيمـة كبيرة الاسـتاذ مصطفى الشهابى بتكليف من تحرير كتاب الهلال وذلك حتى نضع فى يد القارىء العربى وثيقة عظيمة الاهمية بالنسـبة لتاريخ البشر والجنس الاسود بصورة خاصة • ونرجو ان يلاحظ القارىء ان الكتاب لا يضم اى كلام عما زعمه الاوربيون من ان العـرب كانوا يصطادون الزنوج ويتاجرون فيهم •

! فـتـرشـا